مجلة جامعة بيشة
للعلوم الإنسانية

يزيد بن عبد المدان النجراني:
دوره السياسي وتراثه الأدبي بين عصرين

عوض بن عبد الله بن سعد بن ناحي*
عصام محمد قبيصي**
جامعة نجران

www.ub.edu.sa/ar/dsr/ubh-issue-001.aspx



*أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك-أستاذ جامعي سعودي حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة برمنجهام البريطانية (University of Birmingham) ومتخصص في تاريخ وحضارة صدر الإسلام (التاريخ الإسلامي المبكر)، وخاصة التاريخ الإسلامي في مصادر الأمم الأخرى، وتاريخ الأقليات في الإسلام من خلال المصادر المكتوبة (عربية وغير عربية) والنقوش والآثار، والحوار الإسلامي- النصراني . له عدة مقالات علمية محكمة باللغتين العربية والإنجليزية، كما شارك في عدد من المؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية ذات الصلة بمجال تخصصه الأكاديمي.

** أستاذ الأدب القديم والنقد المساعد – قسم اللغة العربية وآدابها .

إيميل الباحث: aaalasiri@nu.edu.sa

كود البحث: JBH-220009
تاريخ استقبال البحث: (18/فبراير/2022 م)
تاريخ النشر: (27/مايو/2022 م)

العدد الأول (صفر 1444هـ – سبتمبر 2022م)

مجلة جامعة بيشة
للعلوم الإنسانية

مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية مجلة علمية محكمة

مسجلة تحت رقم إيداع 9964 / 1443 – ورقم ردمد: 9319 – 1658 للنسخة المطبوعة
مسجلة تحت رقم إيداع 10249 / 1443 – ورقم ردمد: 9343 – 1658 للنسخة الإلكترونية

سبق للمجلة إصدار (10) أعداد تحت مسمى مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية

مسجلة تحت رقم إيداع 8778 / 1438 – ورقم ردمد: 7723 – 1658 للنسخة المطبوعة
مسجلة تحت رقم إيداع 1441/9750 – ورقم ردمد: 8584– 1658 للنسخة المطبوعة

للاطلاع على قواعد وآليات النشر بمجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية
www.ub.edu.sa/ar/dsr/UB–Journal–for–Humanities



للاطلاع على الأعداد السابقة لمجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية
www.ub.edu.sa/ar/dsr/–20



يزيد بن عبد المدان النجراني: دوره السياسي وتراثه الأدبي بين عصرين *

عوض بن عبد الله بن سعد بن ناحي
عصام محمد قبيصي

الملخص: تتناول هذه الدراسة محورين مهمين في حياة الزعيم القبلي يزيد بن عبد المدان الحارثي النجراني، أولها نفوذه السياسي والقبلي، وثانيها تراثه الشعري كشاعر مخضرم في الجاهلية وبداية ظهور الإسلام. ففي المحور الأول، ستتناول الدراسة الإرث السياسي والقبلي الذي شاهم في تشكل الدور السياسي والقبلي للزعيم النجراني بداية من دراسة جذور تشكل الزعامة القبلية لأسرة بني الديان، ثم التعريف بيزيد بن عبد المدان وصولاً إلى بحث تأثيره السياسي والعسكري في علاقات قبيلته بنو الحارث بن كعب مع بنو تميم وهوازن وعامر بن صعصعة وغيرها من الأطراف السياسية والقبلية. وينتهي هذا المحور بدراسة موقف يزيد بن عبد المدان من الإسلام منذ ظهوره حتى دخول الإسلام إلى نجران وانتشاره بين بطون بني الحارث بن كعب وعلاقة يزيد بالرسول ﷺ. أما المحاور الثاني فيتناول الأثر الأدبي ليزيد بن عبد المدان وذلك بدراسة شعره من حيث العوامل المؤثرة في شعره، وأهم موضوعاته مثل الفخر والحماسة والمدح والهجاء، فضلاً عن دراسة الخصائص الفنية لشعر يزيد بن عبد المدان مثل التصوير، والموسيقى، واللغة، والأساليب، والبحور والتأثيرات.

الكلمات المفتاحية: يزيد بن عبد المدان – بنو الحارث بن كعب – نجران – بنو الديان – الاسلام

* يتقدم الباحثان بخالص الشكر والتقدير إلى جامعة نجران بالمملكة العربية السعودية ممثلة في عمادة البحث العلمي على دعم هذا البحث (رمز البحث: NU/-/SEHRC/10/972) في جميع مراحل كتابته حتى إتمام كتابته.

Title: **Yazīd b. ʿAbdul-Madān al-Najrānī: His Political Role and Literary Legacy during pre- and early Islamic era**

Author: **ʿAwad Abdullah Saʿad bin Nahee**

Date of Publication: **27/May/2022**

Abstract: The present study seeks at examining the tribal leader Yazīd b. ʿAbdul-Madān al-Najrānī in terms of his political role and literary legacy since pre-Islamic time prior to the rise of Islam. In the first section, the study will highlight the tribal and political background that helped Yazīd b. ʿAbdul-Madān to establish the power of his leadership by investigating the roots of the house of Banū ad-Dayyān, followed by giving a brief on Yazīd b. ʿAbdul-Madān as a figure. The study, then, will debate the political and military role of Yazīd b. ʿAbdul-Madān in the tribal relationships between his tribe, Banū al-Ḥārith bin Kaʿb and other tribes such as the Banū Tamīm, Hawāzin and Banū ʿĀmir bin Ṣaʿṣaʿah. This section will also examine Yazīd b. ʿAbdul-Madān's attitude toward Islam since its rise down to the spread of Islam among peoples of , Banū al-Ḥārith bin Kaʿb , and also the relationship between the Prophet Muhammad and Yazīd b. ʿAbdul-Madān.

Key Words: Yazīd b. ʿAbdul-Madān - Banū al-Ḥārith bin Kaʿb – Najrān- Banū ad-Dayyān- Islam

تمهيد

في مطلع السنة العاشرة للهجرة/ 631هـ بعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد – رضي الله عنه– على رأس أربعمائة رجل إلى بني الحارث بن كعب في نجران؛ ليدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام قبل أن يقاتلهم، لكنهم استجابوا إلى الإسلام في النهاية، وأرسلوا وفدهم إلى المدينة؛ ليفد على الرسول ﷺ معلناً إسلامه.

تورد الرواية الإسلامية ومصدرها الرئيس ابن اسحق أسماء الوفد تراتبياً على أن زعيمه قيس بن الحصين ذي الغصة يليه يزيد بن عبد المدان وبقية زعماء بطون القبيلة الكبيرة في ذلك الوقت، غير أن ذات الرواية تقدم يزيد بن عبد المدان على أنه أهم شخصية تحدثت باسم قومها وحاورت الرسول ﷺ؛ لتبرر له سبب تأخر قومه في إعلان إسلامهم وعدم قدومهم في السنة نفسها التي قدمت فيها وفود قبائل العرب التي عُرفت بعام الوفود – السنة الـ 9 هـ/ 630م –. ومن يمعن النظر في تفاصيل قدوم تلك الوفود يجد أنه قد جرت العادة على أن المتحدث باسم قومه هو أهم زعمائهم قوة وتأثيراً.

كل ما سبق يقودنا لطرح جدلية واحدة هي أن يزيد بن عبد المدان هو زعيم الوفد الحارثي النجراني[1] وليس قيس بن الحصين ففي مصادر التراث ما يؤيد هذا الافتراض من تراث أدبي وتاريخي يؤكد على النفوذ القبلي والسياسي المؤثر الذي حظي به هذا الزعيم القبلي ليس في إقليم نجران بل في شبه الجزيرة العربية بأسرها. وذلك يطرح تساؤلات مهمة عن طبيعة ذلك الدور وأسباب تناميه، وأشكال تجسّده، وموقفه اللاحق من الدعوة الإسلامية. ثم إن التراث الشعري لهذا الرجل يطرح تساؤلات لا تقل أهمية عن شاعرية يزيد بن عبد المدان، وأغراض شعره، وخصائصها اللغوية والفنية. وللإجابة على شقي التساؤلات السابقة، كان لازماً أن تنقسم هذه الدراسة إلى بابين في بحث واحد: تاريخي وأدبي.

بنو الديان، جذور التشكل والنفوذ:

ينتسب بو الديان إلى الديان واسمه يزيد بن قطن بن زياد، وبنو زياد بطن رئيس ينتسب إلى الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب إحدى بطون بني الحارث بن كعب بن علة بن مذحج واسمه مالك في رأي جمهور علماء التاريخ والأنساب[2]. ويشير أكثر من مصدر إلى أن الديان بن قطن كان شريفاً وكاهناً في قومه، وأنه قاد قبائل مذحج إلى إخراج قبائل ربيعة من تهامة[3]. وفي حادثة أخرى يشير صاحب "الفاخر" في معرض حديثه عن مناسبة المثل الشهير " **لَوْ تُرِكَ القَطَا لَنَامَ** " إلى أنه يُنسب إلى "**حَذام ابنة الديّان**" حيث قاد والدها أربعة عشر حيّاً من أحياء اليمن لقتال "**عاطس بن خلاَّج بن سهم بن شمر بن ذي الجناح الذي سار إلى أبيها في حِمْيَر وخَثعَم وجُعْفيّ وهَمَدان**"[4]. لا تحدد المصادر المتوفرة زمناً تقريباً للحقبة التي عاش فيها الديان بن قطن لكن مسار الأحداث التي ذكرناها يرجح إلى أنها وقعت بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين خاصة وأن حفيده يزيد عاش حتى ظهور الإسلام كما سيأتي في حينه.

غير أن نفس المصادر السابقة لا تذكر أي علاقة واضحة للديان بنجران خلال هذه المرحلة، وذلك لا ينفي أنه ربما سكن بها ذلك أن أحد النقوش المسندية يشير إلى بني الحارث بن كعب كقبيلة تستوطن البقعة الجغرافية الممتدة من جوف اليمن إلى نجران في معرض حديثه عن الحملة العسكرية التي أرسلها الملك الحميري "**شمر يهرعش**" الذي عاش حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ضد قبيلة "**حارثتن بن كعبم**" (أي الحارث بن كعب)[5].

---

[1] هناك وفد نجراني آخر قدم على الرسول ﷺ هو وفد نصارى نجران وقصته مشهورة تحدثت عنها مصادر التراث الإسلامي بكثير من التفاصيل. انظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، *السيرة النبوية*، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ/ 1955م)، ج1، ص 573. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، *الطبقات الكبرى*، (بيروت، دار صادر، ط1، 1969م)، ج1، ص 164. اليعقوبي، أحمد بن واضح بن يعقوب، *تاريخ اليعقوبي*، (ليدن، بريل، 1883م)، ج2، ص 90. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، *فتوح البلدان*، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988م)، ص 73. الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الرسل والملوك*، (بيروت، دار التراث، ط2، 1387هـ)، ج3، ص139. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، *دلائل النبوة*، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (بيروت، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط1، 1408 هـ / 1988م)، ج5، ص 388.

[2] الكلبي، هشام بن محمد، *نسب معد واليمن الكبير*، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1408 هـ / 1988م)، ج1، ص 271. الدارقطني، أ بو الحسن علي بن عمر بن أحمد، *المؤتلِف والمختلِف*، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1406هـ – 1986م)، ج2، ص 970. ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب، *مختلف القبائل ومؤتلفها*، تحقيق: إبراهيم الأبياري، (القاهرة –بيروت، دار الكتاب المصري– دار الكتاب اللبناني، د.ت)، ص 102. ابن حزم، علي بن محمد، *جمهرة أنساب العرب*، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1998م)، ص 416. الحموي، ياقوت بن عبد الله، *المقتضب من جمهرة النسب*، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط1، 1987م)، ص 275.

[3] الهمداني، الحسن بن أحمد، *قصيدة الدامغة*، نسخه وحققه وعلق حواشيه: محمد بن علي الأكوع (القاهرة، المطبعة السلفية، 1978م)، ص 267. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، *الأغاني*، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1415هـ)، ج12، ص 271.

[4] ابن عاصم، المفضل بن سلمة بن عاصم، *الفاخر*، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، (د.م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1380هـ)، ص145.

[5] Jamme, Albert, ***Sabaean Inscriptions from Maḥram Bilqîs (Mârib)***, (Johns Hopkins Press, 1962), p. 164- 165.

ويفهم من الحوار الذي دار بين حفيده يزيد بن عبد المدان والملك الغساني ابن جفنة أن الديان كان رجلاً متعبداً يقول في صلاته:" **آمنت بالذي رفع هذه (يعني السماء)، ووضع هذه (يعني الأرض)، وشقّ هذه (يعني أصابعه)، ثم يخرّ ساجدا ويقول: سجد وجهي للّذي خلقه وهو عاشم، وما جشّمني من شيء فإنّي جاشم. فإذا رفع رأسه قال: إن تغفر اللّهم تغفر جمّا ... وأيّ عبد لك ما ألمّا** "[6]. ويضيف ابن سعد نصاً آخر في سبب تلقبه بهذا الاسم نقلاً عن ابن الكلبي قوله: " **إِنَّمَا سُمِّيَ الدَّيَّانَ**[7]**، لِأَنَّهُ قَالَ الْيَوْمَ دِينٌ، وَغَدًا دِينٌ، وَدِينُ اللَّهِ خَيْرُ دِينٍ**"[8]. ورغم أن كلتا الروايتين تجمعان بوضوح أن الديان بن قطن اعتنق إحدى الديانات التوحيدية السماوية، إلا أن ابن الكلبي مصدر الروايتين التي نقلها الأصفهاني وابن سعد لا يحدد لنا أي ديانة اتبعها الديان أهي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام؟ أم النصرانية ؟ أم اليهودية اللتان انتشرتا في بعض بطون بني الحارث بن كعب[9].

والواضح أن الديّان أسس زعامة قبلية جامعة سهّلت لابنه عبد المدان واسمه عمرو تسلم زعامة قومه وقيادتهم في كثير من مواجهاتهم العسكرية مع محيطهم القبلي[10]. وينقل الأصفهاني عن ابن الكلبي أن عبد المدان بن الديان قاد قومه بني الحارث بن كعب إلى الانتصار على بني عامر بن صعصعة في معركة السّلف[11]. ويكشف نص آخر يورده أبو علي القالي ارتباط عبد المدان المكاني بنجران كأهم زعامة قبلية مستقرة، إذ ينقل عن الشاعر المخضرم أمية بن أبي الصلت أنه قدم إلى نجران ودخل :"... **على عبد المدان بن الديان، فإذا به على سريره، وبنوه حوله كأنهم الكواكب** ..."[12].

ويبدو أن عبد المدان بلغ منزلة كبيرة حتى قرنه بعض شعراء عصره بملوك الحيرة ومن ذلك قول لقيط بن زرارة التميمي : **[الوافر]**

شربت الخمر حتى خلت أني أبو قابوس أو عبد المدان"[13]

إلا أن المصادر المتوفرة لا تقدم معلومات إضافية حول علاقات عبد المدان السياسية والاجتماعية أو حتى تاريخ وفاته، لكن "محمد منوّر" يرجح وفاته في حدود العام 30 ق. هـ/ 594م، ولا نعرف على أي أساس استنتج منوّر هذا التاريخ التقريبي لكن المؤكد أن عبد المدان بن الديان لم يدرك الحقبة المتأخرة من العصر الجاهلي ثم مرحلة ظهور الإسلام[14]. والواضح مما سبق أن عبد المدان رسّخ زعامته القبلية عسكرياً وسياسياً واجتماعياً فأصبح مقصد الشعراء والأدباء في أيامه، وفرض بنو الحارث بن كعب أنفسهم بوصفهم قوة قبلية مرهوبة الجانب وصلت غزواتها إلى نجد والحجاز.

يزيد بن عبد المدان: الزعامة القبلية وعلاقات الجوار

تقدم مصادر التراث أبو النضر — وفي رواية أخرى أبو المنذر - يزيد بن عمرو (عبد المدان) بن يزيد (الديان) بصورة أوضح من تلك التي تتحدث عن أبيه وجده، إذ تجمع على أنه أحد أشراف اليمن وشجعانها فضلاً عن زعامته القبلية الأبرز في قومه بني الحارث بن كعب[15].

---

[6] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 271.

[7] في لسان العرب: "... **الدَّيّانُ: مِنْ أَسماء اللهِ عَزَّ وَجَلّ، مَعْنَاهُ الحكَم الْقَاضِي**...". وفي معنى آخر أن الدَّيَّان "...**الَّذِي يَلِي أَمْرَك ويَسُوسُك**...". ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ***لسان العرب***، (بيروت، دار صادر، ط، 3، 1414هـ)، ج11، ص 525، ج13، ص 166.

[8] ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، ***الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]***، تحقيق ودراسة: الدكتور/ عبد العزيز عبد الله السلومي، (الطائف، مكتبة الصديق، 1416هـ)، ص 762.

[9] الجاحظ، عمرو بن بحر، ***الرسائل***، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1384هـ/ 1964م)، ج3، ص 313. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ***المعارف***، تحقيق: ثروت عكاشة، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م)، ص 621.

[10] يذكر ابن دريد أن المدان اسم لأحد اصنام العرب في الجاهلية. انظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، ***الاشتقاق***، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (بيروت، لبنان، دار الجيل، ط1، 1411 هـ - 1991م)، ص 398.

[11] والسلف من مخاليف اليمن. انظر: الهمداني، الحسن بن أحمد، ***صفة جزيرة العرب***، (ليدن، بريل، 1884م)، ص76. الحموي، ياقوت بن عبد الله، ***معجم البلدان***، (بيروت، دار صادر، 1995م)، ج3، ص 238. الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 275- 276.

[12] القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، ***الأمالي في لغة العرب***، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978م)، ج2، ص 39.

[13] المبرد، محمد بن يزيد، ***الكامل في اللغة والأدب***، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، دار الفكر العربي، ط3، 1417هـ/ 1997م)، ج1، ص 104.

[14] آل مبارك، محمد عبد الله منوّر، ***شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي: جمعاً وتحقيقاً ودراسة***، (جيزان، منشورات نادي جازان الأدبي، ط1، 1420هـ/ 2000م)، ج2، ص 544.

[15] الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج1، ص 272. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص 528. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص 266. ج12، ص 268. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، ***تاريخ دمشق***، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (د.م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ/ 1995 م)، ج65، ص 296.

ويعد كتابي الأغاني للأصفهاني وشرح القصيدة الدامغة للهمداني أهم مصدرين حفظا لنا جملاً من أخبار يزيد بن عبد المدان في هذه المرحلة. غير أن ما يورده الأصفهاني من روايات لا تخلو من الاضطراب والغموض والحاجة إلى إعادة تقييم سياقها التاريخي، إذ يزعم الأصفهاني أن يزيد بن عبد المدان كان أول حارثي سكن نجران وتزوج ابنة أحد زعاماتها النصرانية ويقال له " **عبد المسيح بن دارس**"[16]. فالشطر الأول من هذه الرواية يتناقض تماماً مع الواقع التاريخي لبني الحارث بن كعب الذي يؤكد ارتباطهم بنجران قبل مرحلة تزيد عن قرنين على أقل تقدير، بل إنه يناقض رواية أبي علي القالي الذي تحدثت عن زيارته لعبد المدان في نجران كما أسلفنا. أما قصة زواج يزيد بن عبد المدان من ابنة الزعيم النصراني فليست مستبعدة خاصة إذا ما علمنا أن ثمة تحالف سياسي وعسكري واقتصادي بين الطائفة النصرانية والزعامات القبلية لبني الحارث بن كعب[17]. غير أن الأصفهاني لم يحدد لنا الانتماء القبلي لعبد المسيح بن دارس بن معيقير حول ما إذا كان هو نفسه عبدالمسيح الكندي الملقب بالعاقب وأحد قادة وفد نصارى نجران الذي قدم المدينة والتقى بالرسول ﷺ أم شخص آخر.

ولعل نصاً أخر يورده الأصفهاني حول مشاركة يزيد بن عبد المدان في أحداث يوم الكُلاب الثاني يضعنا أمام إشكالية أخرى[18]، ذلك أن الأصفهاني يؤكد أن الزعيم النجراني كان أحد "...**اليزيدون الأربعة**..." – يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن هوبر، ويزيد بن المأمور، ويزيد بن المخرّم وكلهم من بني الحارث بن كعب – الذين قادوا جموع مذحج وأحلافها من قبائل اليمن في معركة حامية الوطيس مع بني تميم انتهت بهزيمة مذحج وحلفائها ومقتل اليزيدين الأربعة[19]. وبحسب أكثر من مصدر فإن معركة الكلاب الثاني وقعت في مرحلة الدعوة الإسلامية في مكة أي قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة[20]. وبناءً على هذه الرواية فإن معركة الكُلاب الثاني تعتبر آخر حدث في حياة يزيد بن عبد المدان، وهي مسألة جديرة بالنقاش المستفيض كما سيأتي في المبحث التالي.

وتمثل علاقة بني الحارث بن كعب بجوارهم القبلي حقلاً خصباً يبرز الثقل السياسي والاجتماعي ليزيد بن عبد المدان. إذ ينقل لنا الأصفهاني خبر غزوة قاد فيها يزيد قومه بنى الحارث على قبيلة بني عامر بن صعصعة القيسية التي كانت تقيم بين نجد والحجاز، وموجز خبر هذه الغزوة انتصار بني الحارث ووقوع أحد الزعامات العامرية ويقال له عامر بن مالك ملاعب الأسنة في الأسر حيث عفا عنه الزعيم النجراني[21].

وفي حدث مشابه يتحدث الهمداني في "الدامغة" بشيء من التفاصيل عن معركة "حلوم" حيث أغار دريد بن الصمة فارس هوازن على بني الحارث وغنم بعض إبلهم، فخرج له يزيد بن عبد المدان في "**مقنب من الخيل**" حيث دارت معركة عنيفة هُزمت فيها هوازن واستعاد بنو الحارث ما غنمه خصمهم[22].

ويُفهم من نصوص أخرى يوردها الأصفهاني أن الصراع كان السمة السائدة لعلاقة بني الحارث بهوازن حيث كان النصر سجالاً بين الطرفين[23]. إلا أن ذلك الصراع لم يستمر على ذات الحال لاحقاً، إذ يورد الأصفهاني نصاً لافتاً حول وفود دريد بن الصمّة إلى نجران طالباً مساعدة الزعيم النجراني لإعادة أموال جيرانه التي استولى عليها أنس بن مدركة الخثعميّ أثناء إحدى غزواته على هوازن، حيث استقبل ابن عبد المدان ضيفه بحفاوة بالغة ولبى طلبه مما أثار إعجاب دريد بن الصمّة الذي عبّر عنه شعراً وثناءً في بني الحارث بن كعب وبني الديان على وجه التحديد[24].

وفي رواية مشابهة، يسجل الأصفهاني موقفاً آخر مفاده أن رجلاً من هوازن كان يقيم في جوار بني عامر بن صعصعة استنصر بيزيد بن عبد المدان حينما التقاه في سوق عكاظ لكي ينقذ أخاه الذي أسره بنو مرّة بن عوف بن ذبيان في إحدى غزواتهم على هوازن، وبالفعل لبى الزعيم النجراني نداء الاستغاثة ودفع مائة ناقة فدية للأسير الهوازني الذي انتقل مع أخيه للعيش بجوار ابن عبد المدان في نجران[25].

[16] الأصفهاني، الأغاني، ج12، ص 268.

[17] الأصفهاني، الأغاني، ج6، ص 492.

[18] قال ياقوت عن موضع الكُلاب: "... **بالضم، وآخره باء موحدة، علم مرتجل غير منقول، وقال أبو زياد: الكلاب واد يسلك بين ظهري ثهلان**...". الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 313.

[19] المصدر نفسه، ج22، ص 421.

[20] البلاذري، أحمد بن يحيى، ***أنساب الأشراف***، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1، (بيروت، دار الفكر، 1417 هـ / 1996م)، ج 11، ص 273.

[21] الأصفهاني، الأغاني، ج12، ص277.

[22] الهمداني، الدامغة، ص 261.

[23] الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص 263– 264.

[24] المصدر نفسه، ج12، ص 266.

[25] المصدر نفسه، ج12، ص 274 – 275.

وفي قصة أخرى يصف الأصفهاني قصة تلك المفاخرة التي وقعت بين يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطّفيل زعيم بني عامر في سوق عكاظ وسببها أنهما تقدما لخطبة ابنة الزعيم الكناني أمية بن الأسكر، ووفقاً للأصفهاني فقد أجاد يزيد في استعراض مفاخر أسرته من بني الديان وقبيلته مما رجح كفته على الزعيم القيسي وقبول خطبته لابنة الزعيم الكناني[26].

تقدم النماذج السابقة صورة واضحة لعلاقات يزيد بن عبد المدان بجواره القبلي الممتد حتى نجد والحجاز، واللافت تغليبه لقيم مجتمع عرب ما قبل الإسلام على تراكمات الصراعات العنيفة التي سادت علاقات بني الحارث بن كعب بتلك القبائل في كثير من الأوقات. ورغم أن يزيد بن عبد المدان تبنى تلك المواقف السامية من منطلق قوة اجتماعي وسياسي واقتصادي، إلا أن تلك المواقف التي أبداها الزعيم النجراني أكسبته احترام معظم تلك الزعامات وساهمت في تحسين العلاقات القبلية رغم مرارة الصراع.

لم ينحصر نفوذ يزيد بن عبد المدان على جواره القبلي في نجد والحجاز، إذ يبدو جلياً أن اليمن كانت مجالاً حيوياً مهماً استغل فيه زعامته القبلية للتصدي للنفوذ الفارسي المهيمن على عدد من حواضر اليمن. إذ يشير الرازي مؤلف "تاريخ صنعاء" في نص نادر إلى أن يزيد بن عبد المدان اجتمع مع عدد من زعماء مذحج وخولان وحشدوا جموعاً كثيفة لحرب الحاكم الفارسي في صنعاء "باذان بن ساسان" وذلك في أيام "كسرى الثاني أبرويز"، فخرج الأخير بحشوده العسكرية وتحالف مع همدان التي ناصرته ضد تلك القبائل[27]. والغريب أن الرازي لم يسجل لنا ماذا حدث بعد تلك الحشود وهل اصطدم الطرفان عسكرياً أم مالا إلى السلم؟ لكن الأكيد أن النفوذ الفارسي بقي في اليمن حتى ظهور الإسلام مما يعني أن تلك الجموع التي شارك فيها الزعيم النجراني لم تغير من الواقع السياسي في اليمن[28]. لكنها أكدت من جانب آخر قوة النفوذ السياسي والعسكري لبني الحارث بن كعب والذي ساهم فيما يبدو في تدعيم الاستقلال السياسي والاقتصادي الذي تمتعت به نجران خلال المرحلة الزمنية التي سبقت ظهور الإسلام.

ويبدو أن مكانة يزيد بن عبد المدان تجاوزت نطاقها القبلي والإقليمي لتصل إلى بلاد الشام وتحديداً بلاط الغساسنة، إذ يتحدث الأصفهاني بشيء من التفاصيل عن زيارة يزيد بن عبد المدان إلى بلاط الملك الغساني في الشام وهو ما يساعدنا في الوصول إلى مقاربة زمنية وموضوعية حول هذا الرجل. إذ يذكر الأصفهاني أن يزيد قدم إلى بلاط ابن جفنة الغساني في وفد ضم أهم زعماء وفرسان مذحج في عصره عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن المكشوح المرادي حيث حظي يزيد بن عبد المدان بحفاوة بالغة من الملك الغساني الذي لبى له أكثر من طلب وسقاه بيده في حضور زعماء قبائل أخرى في مجلسه مثل ملاعب الأسنّة عامر بن مالك العامري، ويزيد بن عمرو بن خويلد الكُلابي، ودريد بن الصّمّة الهوازني[29].

لعل أهم ما نستنتجه من هذا النص أن سمعة الزعيم النجراني وشهرة أسرته قد وصلت البلاط الغساني فلا غرابة أن يحظى بذلك التفضيل والإشادة. والعلاقة بين نجران والشام قديمة لكنها ارتبطت في الحقبة الأخيرة من العصر الجاهلي بالطائفة النصرانية التي دان كثير من أتباعها بالولاء لكنيسة اليعاقبة في الشام وهي المذهب الرسمي للغساسنة أيضاً[30].

واللافت أن الشخصيات الواردة في الرواية تكاد تكون معاصرة لبعضها بل إن معظمها أدرك الإسلام مما يرجح أن قصة زيارة يزيد بن عبد المدان للبلاط الغساني وقعت في مرحلة متأخرة من العصر الجاهلي وغالباً في النصف الثاني من القرن السادس ومطلع القرن السابع الميلاديين. إلا أن مشكلة أخرى تبرز في هذا النص تحديداً، فالأصفهاني لم يحدد اسم الملك الغساني الذي استقبل الوفد المذحجي فابن جفنة لقب العائلة الملكية الغسانية وليس خاصاً بملك محدد. لكن

[26] المصدر نفسه، ج12، ص 268- 269.

[27] الرازي، أحمد بن عبد الله بن محمد، ***تاريخ صنعاء***، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، (بيروت – دمشق، دار الفكر، ط3، 1409هـ/ 1989م)، ص 94.

[28] ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص69.

[29] المصدر نفسه، ج12، ص 271.

[30] مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط1، (بيروت، دار إحياء التراث، 1423هـ)، ج1، ص 463. نولدكة، ثيودور، ***أمراء غسان من آل جفنة***، ترجمة قسطنطين زريق وبندلي جوزي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1933م)، ص 21- 22. رستم، أسد رستم، ***كنيسة مدينة الله أنطاكية***، (لبنان، المكتبة البولسية، 1988م)، ج1، ص 394.

Shahîd, Irfan, ***Byzantium and the Arabs in the Fifth Century***, (Washington: DC: Dumbarton Oaks research library and collection, 1995), p. 75.

ابن عساكر في ترجمته ليزيد بن عبد المدان يؤكد أن الحارث بن أبي شمر الغساني هو من استقبل الزعيم النجراني[31]. وفي مصادر السيرة النبوية أن الرسول ﷺ أرسل إلى الحارث بن أبي شمر شجاع بن وهب الأسدي بكتاب يدعوه للإسلام لكنه لم يسلم ومات عام الفتح أي السنة الـ 8 هـ/ 630هـ[32].

وهكذا فإن بعض مصادر السيرة تؤكد ما ترجحه هذه الدراسة من أن قصة زيارة يزيد بن عبد المدان للبلاط الغساني وقعت في فترة متأخرة من العصر الجاهلي وغير بعيدة عن ظهور الإسلام.

يزيد بن عبد المدان والإسلام:

تثير رواية الأصفهاني حول الزعم بمقتل يزيد بن عبد المدان في يوم الكُلاب الثاني تساؤلاً بالغ الأهمية فيما إذا أدرك يزيد الإسلام أم لا؟ فقد ذهب "مقبل الأحمدي" إلى تبني ما قاله الأصفهاني بدعوى أن "...**خبر مقتل يزيد أومأ إليه أبو عبيدة، ونص عليه الأصفهاني، وعنه أخذ البغدادي**..." بالإضافة إلى أن "...**نباهة يزيد ما كانت لتخفى على الناس لو أدرك الإسلام**..."[33]. وهو رأي لا يتفق معه "محمد الفرح"، و"فائزة العتيبي" اللذان يوردان تفسيرين متباينين. فبينما يكتفي الفرح بترجيح انسحاب يزيد بن عبد المدان بمن معه إلى نجران دون توضيح أسبابه[34]، ترى العتيبي أن إجماع مصادر السيرة النبوية على ذكر اسمه ضمن قائمة وفد بني الحارث بن كعب إلى الرسول ﷺ يرجح وفاته بعد السنة الـ 10 هـ/ 632م[35].

ويبدو استنتاج فائزة العتيبي الأرجح بقوة لدى الباحث فبالعودة إلى مصدر رواية الأصفهاني الأقدم وهو كتاب النقائض لأبي عبيدة سنجد أن أبا عبيدة لم يومئ بمقتل يزيد بن عبد المدان كما ذهب الأحمدي بل أشار إليه ضمن قادة القبائل اليمنية، لكنه لم يذكره ضمن أهم قتلى معركة الكُلاب الثاني كما هو الحال في مقتل عبد يغوث بن صلاءة الشاعر والزعيم الحارثي الأقل شئناً من يزيد[36].

إضافة إلى ما سبق، فإن ثمة أبيات تنسبها بعض مصادر اللغة والأدب إلى الزعيم النجراني توحي بأن ثمة دورا قام به عند ظهور الإسلام ووصوله إلى نجران، وفيها يقول:

ولَسْتُ بِشَاوِيٍّ عَلَيْهِ دَمَامَةٌ إذا ما غَدَا يَغْدُو بِقَوْسٍ وأَسْهُمِ

ولكِنَّما أَغْدُو عَلَيَّ مُفَاضَةٌ دِلاَصٌ كَأَعْيَانِ الجَرَادِ المُنَظَّمِ

بِكُل قُرَيْشِيٍّ عَلَيْه مَهَابَةٌ سَرِيعٍ إلى دَاعِي النَّدَى والتَّكَرُّمِ[37]

وفي هذه الأبيات يصف ابن عبد المدان كيف استعد بسلاحه ودرعه ليناصر ذلك القرشي المهيب إلى داعي "الندى والتكرم". ومن الواضح أن هذه الأبيات تصف موقفاً سياسياً وعسكرياً لم تسعفنا الأبيات بتوضيح بقية معالمه، ذلك أنها فيما يبدو جزء من قصيدة لم تحفظها المصادر المتوفرة. والأرجح أن يزيد تحدث هنا عن موقفه المناصر للحملة العسكرية التي قادها خالد بن الوليد إلى بني الحارث كما سيرد أدناه. وما يرجح هذا القول أن المصادر التي حفظت لنا ما نُسب إلى يزيد من شعر على قلته قد نصت على معظم مناسبات ذلك الشعر ولم تتضمن إي علاقة إشارة لقريش ورجالاتها خلال هذه الحقبة.

[31] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج65، ص 296.

[32] ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص 607. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص 258. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، ***الثقات***، (حيدر آباد الدكن، الهند، دائرة المعارف العثمانية، 1393 هـ/ 1973م)، ج2، ص6.

[33] الأحمدي، مقبل التام، ***شعراء مذحج، أخبارهم وأشعارهم***، (صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، 1425هـ/ 2004م)، ص 411.

[34] الفرح، محمد حسين، ***شعر وشعراء اليمن في الجاهلية***، (صنعاء، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 142هـ/ 2004م)، ص 710.

[35] العتيبي، فائزة رداد، ***حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام***، (نجران، إصدارات نادي نجران الأدبي، 1430هـ/ 2009م)، ص 85– 87.

[36] أبو عبيدة، عبيدة عامر بن المثنى، ***كتاب النقائض: نقائض جرير والفرزدق***، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/ 1998م)، ج1، ص 111– 115.

[37] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ***كتاب العين***، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (د.م، دار ومكتبة الهلال، د. ت)، ج5، ص 39 ج6، ص 298. السيرافي، يوسف بن الحسن بن عبد الله، ***شرح أبيات سيبويه***، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، (القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1394هـ/ 1974 م)، ج 2، ص 240. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ***لسان العرب***، (بيروت، دار صادر، ط، 3، 1414هـ)، ج 6، ج 335– 336.

وإذا ما تناولنا رواية قدوم وفد بني الحارث بن كعب على الرسول ﷺ، فإن يزيد بن عبد المدان لم يكن كما زعم الأحمدي خامل الذكر في مصادر السيرة النبوية والطبقات، بل على خلاف ذلك تجمع هذه المصادر على أنه المحاور الرئيسي للرسول ﷺ في قصة قدوم الوفد النجراني. وفي الرواية التي ينقلها ابن اسحق أن الرسول ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى نجران في 400 فارس في ربيع الآخر أو جمادى الأولى 10 هـ/ 631م، وأمره أن يدعو بني الحارث بن كعب إلى الإسلام ثلاثة أيام قبل أن يقاتلهم، وبالفعل دان بنو الحارث إلى السلم وقبلوا الإسلام فكتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ مبشراً فأمره عليه الصلاة والسلام أن يقدم إلى المدينة ومعه وفدهم وهو ما حدث حيث وصل خالد بن الوليد – رضي الله عنه – إلى المدينة "...**وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفْدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، مِنْهُمْ قَيْسُ بْنُ الْحُصَيْنِ ذِي الْغُصَّةِ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُحَجَّلِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادٍ الزِّيَادِيُّ، وَشَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَنَانِيُّ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضِّبَابِيُّ فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآهُمْ، قَالَ: مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ رِجَالُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، فَلَمَّا وَقَفُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَلَّمُوا عَلَيْهِ، وَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتُمْ الَّذِينَ إذَا زُجِرُوا اُسْتُقْدِمُوا، فَسَكَتُوا، فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّانِيَةَ، فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعَادَهَا الثَّالِثَةَ، فَلَمْ يُرَاجِعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ أَعَادَهَا الرَّابِعَةَ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ الَّذِينَ إذَا زُجِرُوا اُسْتُقْدِمُوا، قَالَهَا أَرْبَعَ مِرَارٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَنَّ خَالِدًا لَمْ يَكْتُبْ إلَيَّ أَنَّكُمْ أَسْلَمْتُمْ وَلَمْ تُقَاتِلُوا، لَأَلْقَيْتُ رُءُوسَكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، فَقَالَ يَزِيدُ ابْن عَبْدِ الْمَدَانِ: أَمَا وَاَللَّهِ مَا حَمِدْنَاكَ وَلَا حَمِدْنَا خَالِدًا، قَالَ: فَمَنْ حَمِدْتُمْ؟ قَالُوا: حَمِدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي هَدَانَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: صَدَقْتُمْ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: لَمْ نَكُنْ نَغْلِبُ أَحَدًا، قَالَ: بَلَى، قَدْ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ، قَالُوا: كُنَّا نَغْلِبُ مَنْ قَاتَلَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّا كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلَا نَفْتَرِقُ، وَلَا نَبْدَأُ أَحَدًا بِظُلْمٍ، قَالَ: صَدَقْتُمْ. وَأَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ قَيْسَ بْنَ الْحُصَيْنِ**."[38].

لا خلاف على دور يزيد بن عبد المدان القيادي والبارز في هذا الوفد غير أن ثمة سياق غريب تتضمنه هذه الرواية، إذ يجعل ابن إسحاق الزعيم القبلي الآخر قيس بن الحصين ذي الغصة في مقدمة الوفد وليس يزيد ثم يزعم أن الرسول ﷺ أمّره على قومه وفضله في العطاء باثنتي عشرة أوقية وكتب له كتاباً على قومه بينما أجاز يزيد بن عبد المدان بعشر أواقي. وهي رواية يخالفها ضمنياً ابن واضح اليعقوبي الذي اكتفى بالإشارة إلى " **بنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبد المدان** " في استعراضه لوفود العرب إلى النبي ﷺ[39].

إن من يقرأ تاريخ بني الحارث في المرحلة الأخيرة للعصر الجاهلي يدرك أن قيس بن الحصين ينتسب إلى فرع آخر من بني الحارث يقال لهم "بنو قنان" وقد مثلت أسرته زعامة قبلية منافسة لبني الديان برزت في وقائع سجلتها بعض مصادر التراث ومنها يوم فيف الريح الذي وقع في بداية البعثة النبوية في مكة بين بني الحارث بن كعب "... **وقبائل من مراد وجعفي وزبيد وخثعم**..." من جهة وبني عامر بن صعصعة من جهة أخرى، حيث قاد الحصين ذو الغصّة – والد قيس – بني الحارث في تلك المعركة[40]. كما أشار الرازي إلى الحصين بن يزيد القناني إلى جانب يزيد بن عبد المدان ضمن تلك الزعامات التي حشدت لحرب الحاكم الفارسي بصنعاء قبيل ظهور الإسلام[41]. وتتجلى قيادة الحصين ذي الغُصَّة في يوم الرزم حيث عقد حلفاً عسكرياً مع همدان ضد مراد وقاد جموع قومه في معركة الرزم قرابة العام الـ 2هـ/ 623م ولقي مصرعه في ذلك اليوم رغم انتصار بني الحارث وهمدان[42].

والخلاصة مما سبق أن تفضيل قيس بن الحصين لا يناقض زعامة بني الديان ولا ينتقص من أهمية يزيد بن عبد المدان بقدر ما يؤكد وجود زعامة قبلية منافسة. وعلى كل حال فمن الواضح أن يزيد بن عبد المدان قد تلقى الدعوة الإسلامية بقناعة راسخة وترحيب واضح ودعم كامل. لكن ذلك لا يعفينا من قراءة رواية إسلام بني الحارث وبحث أسباب موقف زعاماتهم وعلى رأسهم يزيد بن عبد المدان الذي سارع إلى الجنوح للسلم والترحيب بالدعوة الإسلامية رغم قوة قبيلته السياسية والعسكرية. كل ذلك لا يمكن فهمه دون قراءة الأوضاع السياسية و العسكرية في جزيرة العرب في ذلك الوقت، أي السنة 10هـ/ 631م حيث انضوى جل جزيرة العرب تحت سلطة دولة الإسلام في المدينة بما فيها أقاليمها الجنوبية التي أرسلت وفودها لتعلن إسلامها في حضرة النبي ﷺ في المدينة

[38] ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 592– 594.

[39] اليعقوبي، التاريخ، ج2، ص 86.

[40] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه، ***العقد الفريد***، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ)، ج6، ص 88. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ***الكامل في التاريخ***، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1417هـ / 1997م)، ج 1، ص 565.

[41] الرازي، تاريخ صنعاء، ص 94.

[42] ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج1، ص 330. الغندجاني، أبو محمد الحسن بن أحمد، ***فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي شرح أبيات سيبويه***، (د.م، د.ن، د.ت)، ص 48. النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا، ***الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي***، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1426 هـ / 2005 م)، ص 574. علي، جواد علي، ***المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام***، (بيروت، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م)، ج11، ص 260.

[43]. كل ذلك لم يغب عن إدراك الزعيم النجراني الذي وجد نفسه أمام واقع ديني، وسياسي، وعسكري جديد، فرأى أنه من العبث الوقوف في وجه دولة الإسلام ومن الأجدى تقبل ذلك الواقع أسوة ببقية القبائل والأقاليم المجاورة لنجران. وهكذا كان من الطبيعي أن يقود يزيد بن عبد المدان قومه إلى دخول الإسلام وتجنب صراع عسكري غير متكافئ من وجهة نظر قبيلته على الأقل.

وبالعودة إلى المصادر المتوفرة سنجد أن اسم يزيد بن عبد المدان يغيب عن ساحة الأحداث بعد فترة قصيرة وتحديداً عند ظهور أحداث الردة دون أن تبرر المصادر سبب ذلك. إلا أن مصدراً وحيداً وهو مخطوط "**تاريخ اليمن في الكوامن والفتن**" لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي يورد نصاً تاريخياً بالغ الأهمية مفاده أن عبد الله بن عبد المدان أرسل كتاباً إلى الخليفة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– يستأذنه أن يزحف بمن معه ممن ثبت على الإسلام بنجران إلى صنعاء لقتال أتباع الأسود العنسي[44].

نستطيع من خلال هذا النص أن نصل إلى مقاربة مفادها أن يزيد بن عبد المدان – رضي الله عنه– قد توفي على الأرجح بعد وفوده على النبي ﷺ بمدة يسيره لا تتجاوز عدة أشهر، والأرجح أيضاً أن زعامة قومه انتقلت إلى عبد الله بن عبد المدان الذي حرص على الانحياز إلى جانب دولة الإسلام وتبني دور قيادي مؤثر في التصدي لأحداث الردة.

ثانياً: أثره في الحركة الأدبية في العصر الجاهلي:

يزيد بن عبد المدان شاعر وخطيب، وكثيراً ما أشير إلى شاعريته في كثير من مصادر التراث، فقد ذكر غير واحد من القدماء أنه:" **كان شريفاً شاعراً**"[45]، وقال عنه أحد المؤرخين المحدَثين : "**شاعر، من أشراف اليمن**"[46]. وهو من أسرة شاعرة ؛ فقد كان أبوه وجده وأخوه عبد الله شعراء، وكذلك عمتاه مارية و حذام شاعرتان[(47)]، وكانت عائشة ابنة أخيه شاعرة، لها شعر ترثي ولديها اللذين قتلهما بسر بن أرطأة[48].

ساهم بنو الحارث بن كعب وعلى رأسهم بنو الديان في ازدهار الحركة الأدبية في العصر الجاهلي، وسبب ذلك يرجع إلى حروبهم وأيامهم الكثيرة التي أشار إليها البحث، والحروب هي الباعث الأول للشعر في الجاهلية ومن يتصفح كتب التاريخ يجد سيلا عارما من الأشعار التي قيلت في هذه الأيام، وقد دارت هذه الأشعار حول الفخر والحماسة والهجاء والرثاء، وأشهر أيامهم يوم الكُلاب الثاني ويوم فيف الريح ويوم حلوم[49].

وبالإضافة إلى شعر الحرب ودورهم فيه، كان هناك جوانب أخرى عندهم أدت إلى ازدهار الحركة الأدبية في الجاهلية منها كرمهم وقوتهم ومنعتهم، "**فبنو عبد المدان أحدُ بيوتاتِ العرب الثّلاثة، وهم بيت زُرارة بن عُدَس في بني تميم، وبيت حُذَيفة بن بدر في فَزارة، وبيت عبد المدان في بني الحارث**"[50]، وقد أمَّهم كثير من الشعراء يمدحونهم لينالوا عطاياهم ويغرفوا من نداهم وحسن جوارهم ، ولاذ بهم آخرون طلبا للحماية أو العون وكلا الفريقين نال عندهم مبتغاه.

وبكرمهم وجودهم أشاد سادة العرب وكبراؤهم قبل شعرائهم من ذلك قول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي كان معاصرا ليزيد يمدح عبد المدَان بن الدَّيَّان وبنيه وكانوا من الأجواد المطْعِمِين الممدوحين: [الكامل]

ولقد رأيت الباذلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بني الديّان

ورأيت من عبد المدان خلائقاً فضل الأنام بهنّ عبد مدان

---

[43] ابن سعد، الطبقات، ج 1، 323– 356. وانظر: الحديثي، نزار، *أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار*، (دمشق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978م)، ص99 –109. الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، *تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى*، (صنعاء، الإحسان نت، ط8، 1434هـ/ 2013م)، ص 37– 72.

[44] مؤلف مجهول، *تاريخ اليمن في الكوامن والفتن*، (مخطوط)، (القاهرة، معهد المخطوطات العربية، فلم رقم 18)، (نسخة مصورة من مكتبة د. عبد الرحمن الشجاع عن مكتبة محمد بن علي الأكوع)، ورقة 25.

[45] ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج 1، ص272. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص528. ابن دريد، الاشتقاق، ص 398.

[46] الزركلي، خير الدين بن محمود، *الأعلام*، (بيروت، لبنان دار العلم للملايين، ط 15، 2002م)، ج8، ص 184.

[47] يموت، بشير، *شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام*، (بيروت، لبنان، المكتبة الأهلية ط 1، 1934م)، ص 67.

[48] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، لبنان، دار الجيل، ط 1، 1992م)، ج 1، ص160.

[49] الهمداني، الدامغة، ص 261.

[50] ابن دريد، الاشتقاق، ص: 399

البرّ يلبك بالشهاد طعامه … لا ما يعلّلنا بنو جدعان[51]

ويقال إن عبد الله بن جدعان عندما سمع هذه الأبيات أرسل إلى الشام من يأتيه بهذه الأطعمة كي يقدمها إلى ضيفانه وحجاج البيت الحرام. وفي الأبيات دلالة على مبالغة بني الديان في إكرام من يقصدهم. وفي ديوان الأعشى الكبير إشارة إلى ما يقدمه بنو الديان من ألوان الشراب الذي يصحبه الغناء والطرب في قوله مخاطبا ناقته: [المتقارب]

وَكَعبَةُ نَجرانَ حَتمٌ عَلَيـ … ـكِ حَتّى تُناخي بِأَبوابِها

نَزورُ يَزيدَ وَعَبدَ المَسيحِ … وَقَيساً هُمُ خَيرُ أَربابِها

إِذا الحَبَراتُ تَلَوَّت بِهِم … وَ جَرّوا أَسافِلَ هُدّابِها

لَهُم مَشرَباتٌ لَها بَهجَةٌ … تَروقُ العُيونَ بِتِعجابِها[52]

واستطاع المسيب بن عسلة جمع كل هذه المعاني والصفات عندما مدح بني الديان بقوله: [الوافر]

لقد أعملت راحلتي ورحلي … إلى الديان خير فتىً يمان

وخير الناس قد علمت معد … لضيف أو لجـار أو لعـان[53]

في البيتين السابقين يصفهم بأنهم يكرمون أضيافهم ويحمون جارهم ويفكون العاني المستجير بهم. وأشاد كثير من الشعراء بمنعتهم وقوتهم في حماية جيرانهم ومن يلوذون بهم خوفا ممن يطلبهم من ذلك قول طفيل الغنوي يصف إبله التي سمنت في جوارهم: [الطويل]

مجاورة عبد المدان ومن يكن … مجاورهم بالقهر لم يتطلّع

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله … حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

إن شلّت الأحياء بات ثويّهم … على خير حال آمناً لم يفزّع

فإن فزعوا طاروا إلى كل سابح … شديد القصيرى سابغ الضلع جرشع(54)

وبجانب كرمهم وشجاعتهم أشاد الشعراء ببيانهم وفصاحتهم بالإضافة إلى جمالهم ووجاهتهم وعزهم، من ذلك قول حسان بن ثابت: [الوافر]

وقد كنا نقول إذا رأينا … لذي جسم يعدّ وذي بيان

كأنك أيها المعطي بيانا … وجسما من بني عبد المدان[55]

[51] البكري، أبو عبيد، ***سمط اللآلي في شرح أمالي القالي***، تحقيق: عبد العزيز الميمني، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج1، ص 362. والأبيات منسوبة للقاسم بن أمية بن أبي الصلت. انظر: البصري، علي بن أبي الفرج البصري، ***الحماسة البصرية***، تحقيق: مختار الدين أحمد، (بيروت، لبنان، د.ت)، ج 1، ص134.

[52] ***الديوان***، تحقيق: محمد محمد حسين، (القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 1950م)، ص: 137.

[53] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، ***المؤتلف والمختلف***، تحقيق: ف. كرنكو، (دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1990م)، ص 205.

[54] الغنوي، طفيل، ***الديوان***، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، (بيروت، دار صادر، ط: 1، 1997م)، ص 73.

[55] المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج1، ص80.

واستحق بنو عبد المدان أن يكونوا مثالا للفخر ومضربا للمثل في عيشهم الرغيد؛ فلا يضاهيهم في ذلك إلا الملوك، يقول لقيط بن زرارة: [الوافر]

شربت الخمر حتى خلت أني أبو قابوس أو عبد المدان

أمشي في بني عدس بن زيد رخيّ البال منطلق اللّســان [56]

وليس يزيد بن عبد المدان وحده من يتسم بصفات المروءة والنجدة والشجاعة، بل كل هذه الصفات غلبت على جل بني الديان، وكل من مدحهم– في الغالب –كان لا يخص أحدا منهم بمدحته، وقد فعل ذلك الأعشى ودريد بن الصمة في إحدى قصيدتيه اللتين سنشير إليهما، وقد أحسن عباد بن شبل حين قال: [الطويل]

إذا اخترت من قوم خيار خيارهم فكلّ بني عبد المدان خيار

جروا بعنان واحد فضل بينهم بأن قيل قد فات العذار عذار[57]

وليزيد بن عبد المدان دور كبير في إثراء الحركة الأدبية والشعرية في عصره، فهو سيد قومه شجاعا كريما، وبهذا مدحه بعض الشعراء لما له من فضل وأياد بيضاء، من ذلك ما يروى عن دريد بن الصمة أن أنس بن مدركة الخثعمي أغار على بني جشم فأصاب مال رجل من ثمالة كان في جوار دريد ومن عادات العرب حماية الجار والدفاع عنه؛ لذلك طلب منه الثمالي أن يرجع له ماله وإبله وألح في طلبه، فسأل دريد قومه فأشاروا عليه أن يذهب إلى يزيد بن عبد المدان؛ فهو القادر على ذلك لأن خثعم كانت حليفا لبني الحارث بن كعب ومقامهم في نجران ، فقال دريد بل أرسل له مدحة وأنظر موقعي عنده ؛ فأنشأ قصيدة يقول فيها : [الوافر]

بني الدَيّانِ رُدّوا مالَ جاري وَأَسرى في كُبولِهُمُ الثِقالِ

وَرُدّوا السَبيَ إن شِئتُم بِمَنّ وَإِن شِئتُم مُفاداةً بِمالِ

فَأَنتُم أَهلُ عائِدَةٍ وَفَضلٍ وَأَيدٍ في مَواهِبِكُم طِوالِ

مَتى ما تَمنَعوا شَيئاً فَلَيسَت حَبائِلُ أَخذِهِ غَيرَ السُؤالِ

وَحَربُكُم بَني الدَيّانِ حَربٌ يَغصُّ المَرءُ مِنها بِالزُلالِ

وَجارَتُكُم بَني الدَيّانِ بَسلٌ وَجارُكُمُ يُعَدُّ مَعَ العِيالِ

حَذا عَبدُ المَدانِ لَكُم حَذاءً مُخَصَّرَةَ الصُدورِ عَلى مِثالِ

بَني الدَيّانِ إِنَّ بَني زِيادٍ هُمُ أَهلُ التَكَرُّمِ وَالفَعالِ

فَأَولوني بَني الدَيّانِ خَيرا أُقِرُّ لَكُم بِهِ أُخرى اللَيالي[58]

وعندما سمع يزيد قول دريد أرسل إليه؛ فقدم نجران فرد عليه مال الثمالي وأسرى قومه، وما سأله شيئا إلا أعطاه إياه؛ فقال دريد: [المتقارب]

مَدَحتُ يَزيدَ بنَ عَبدِ المَدانِ فَأَكرِم بِهِ مِن فَتىً مُمتَدَح

[56] المصدر نفسه، ج 1، ص104

[57] البغدادي، بهاء الدين، *التذكرة الحمدونية*، (بيروت، دار صادر، ط1، 1417هـ)، ج 4، ص 36.

[58] ابن الصمة، دريد، *الديوان*، تحقيق: عمر عبد الرسول، (القاهرة، دار المعارف، ط1، 1985م)، ص 149– 150.

إذا المَدحُ زانَ فَتى مَعشَرٍ *** فَإِنَّ يَزيدَ يَزينُ المِدَح

حَلَلتُ بِهِ دونَ أَصحابِهِ *** فَأَورى زِنادِيَ لَمّا قَدَح

وَرَدَّ النِساءَ بِأَطهارِها *** وَلَو كانَ غَيرُ يَزيدٍ فَضَح

وَفَكَّ الرِجالَ وَكُلُّ اِمرِئٍ *** إذا أَصلَحَ اللهُ يَوماً صَلَح

وَقُلتُ لَهُ بَعدَ عِتقِ النِساءِ *** وَفَكِّ الرِجالِ وَرَدِّ اللِقَح

أَجِر لي فَوارِسَ مِن عامِرٍ *** فَأَكرِم بِنَفحَتِهِ إذ نَفَح

وَما زِلتُ أَعرِفُ وَجهَهُ *** بِكَرّي السُؤالَ ظُهورَ الفَرَح[59]

وقائل القصيدتين السابقتين سيد بني جشم وقائدهم، وصاحب المشورة فيهم، ولم ير عاراً في أن يمدح يزيد بن عبد المدان وقومه فقد وصفهم بالشجاعة والإقدام والكرم وحماية الجار والعفة، وهذه المدحة مأثرة افتخر بها يزيد على عامر بن الطفيل حين قال له: "...**يا عامر، هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحة إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي؟ قال: اللهم نعم**"[60].

واشتهر يزيد بنجدته وإغاثة الملهوف وفك العاني والوقوف إلى جانب الضعيف من الناس الذي لا يجد ناصرا ولا معينا، و اشتهرت أبيات لا يعرف قائلها سمعها رجل من هوازن كان له أخ أسير عند قيس بن عاصم المنقري، والهوازني كان في جوار بني مرة الذبيانيين فلم يغيثوه فسمع الرجل شعرا لا يعرف قائله: [المتقارب]

ألاَ أيُّهذَا الّذي لم يُجِبْ *** عليكَ بحَيٍّ يُجَلّي الكُرَب

عليكَ بذَا الحيّ من مَذْحِجٍ *** فإنّهُمُ للرِّضَا والغَضَب

فنَادِ يزيدَ بن عبدِ المَدَانِ *** وقَيْساً وعمرَو بنَ مَعْدِ يكرِب

يَفُكُّوا أخاكَ بأموالهِمْ *** وأَقْلِلْ بمِثْلِهِمُ في العَرب[61]

فذهب الرجل إلى نجران، وذهب إلى سادتها فلم يجبه سوى يزيد الذي أرسل إلى قيس بن عاصم يهدده ويطلب منه فك الأسير، بشعر يقول في أوله: [البسيط]

يا قَيسُ أَرسِل أَسيراً مِن بَني جشم *** إنّي بِكُلِّ الّذي تَأتي بِهِ جازي[62]

وقد جاء في بعض المصادر أنه أرسل مع الرسول رسالة أخرى نثرية يقول فيها: "**إن المعروف قروض ومع اليوم غد، فأطلق لي هذا الجشمي فقد استعان بأشراف بني جشم، فلم يصب حاجته فاستجار بي. ولو أرسلت إلي في جميع أساري مضر بنجران لقضيت حقك**"[63] وقد حاول قيس بن عاصم أن يفتك الأسير من قومه، لكنهم غالوا في ثمنه ، فأرسل إلى يزيد يعتذر إليه وأخبره أن الأسير عند رجل سعدي ، فقبل يزيد عذره وأرسل إلى السعدي وافتدى الأسير بمائة ناقة برعائها ، وعاش الجشمي وأخوه في نجران في جوار بني عبد المدان إلى أن ماتا.

---

[59] المصدر نفسه، ص 51- 52.

[60] شيخو، لويس شيخو اليسوعي، *شعراء النصرانية*، (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1980م)، ج 1، ص81.

[61] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص274.

[62] المصدر نفسه، ج 12، ص 275.

[63] الأفغاني، سعيد، *أسواق العرب في الجاهلية والإسلام*، (بيروت، دار الفكر، ط 3، 1974م)، ص 309.

ومن أثره في الحركة الأدبية ما دار بينه وبين عامر بن الطفيل من تجاذبات في الحروب والأيام كذلك منافرته إياه في سوق عكاظ، وكانا قد تنافسا في خطبة ابنة أمية بن الأسكر، وله مع يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق نقائض شعرية سنعرض لها في موضوعات شعره.

وقد شهد لبني عبد المدان كثير من أعدائهم بالفضل والحلم كما في أبيات دريد بن الصمة السالفة، ومن هؤلاء لبيد بن ربيعة العامري، وبنو عامر من أشد أعداء بني الحارث بن كعب؛ وكانت بينهم أيام وحروب مستعرة لكن هذا العداء لن يمنع لبيدا من قوله: [الرمل]

وَبَنو الدَيانِ أعدَاءُ لِلاَ ... وعَلَى ألْسُنِهِمْ خَفَّتْ نَعَمْ

زَيَّنَتْ أحسَابُهُمْ أنسَابَهُمْ ... وكذاكَ الحِلمُ زَيْنُ للكَرَمْ[64]

فمن صفات العرب الإنصاف، ولذلك وجدنا في شعرهم قصائد كثيرة تسمى بالمنصفات فمنهم "من كانوا يصورون الواقع والحقيقة فيحكون ما حدث بين قومهم وأعدائهم، وما قام به الجانبان من مظاهر البطولة. فكان الشاعر حينئذ يتحدث عن أعدائه كما يتحدث عن قومه[65]، ولبيد بن ربيعة كان معاصراً ليزيد بن عبد المدان وربما عناه بهذين البيتين.

ويروى أن مُرَّة بن دودان السلمي حضر ما دار في سوق عكاظ بين عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد المدان فقال رجزا يمدح به يزيد فلامه قومه لأن بني عامر حلفاؤهم وبني عبد المدان أعداؤهم وطلبوا منه هجاء بني عبد المدان ويزيد فأبى ثم قال: [الوافر]

تكلفني هوازن فخر قومٍ ... يقولون: الأنام لنا عبيد

أبونا مذحج وبنو أبيه ... إذا ما عدت الآباء هود

وهل لي إن فخرت بغير حق ... مقال والأنام لهم شهود[66]

وكما كان يزيد بن عبد المدان في حياته سيدا ممدحاً، وكذلك صار بعد موته وهذا بفضل أياديه البيضاء على كثير من أعدائه قبل حلفائه، وليس أدل على ذلك من قول زينب بنت مالك أخت عامر بن مالك ملاعب الأسنة وقد كان يزيد أسر أخويها ثم مَنَّ عليهما فأطلقهما فقالت ترثيه: [المتقارب]

بكيت يزيد بن عبد المدان ... خلت به الأرض أثقالها

شريك الملوك ومن فضله ... يفضل في المجد أفضالها

فككت أسارى بني جعفر ... وكندة إذ نلت أقوالها [67]

وقولها: [المتقارب]

سأبكي يزيد بن عبد المدان ... على أنه الأحلم الأكرم [68]

ولامها قومها على رثائها ليزيد فقالت: [الطويل]

ألا أيها الزاري علي بأنني ... نزارية أبكي كريماً يمانيا

[64] عباس، إحسان، ***شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري***، (الكويت، وزارة الإرشاد والأنباء، 1962م)، ص 352.

[65] الجندي، علي، ***في تاريخ الأدب الجاهلي***، (المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، 1991م)، ص 433.

[66] شيخو، شعراء النصرانية، ج 1، ص83.

[67] يموت، بشير، ***شاعرت العرب في الجاهلية والإسلام***، (بيروت، المكتبة الأهلية، 1934م)، ص 73.

[68] المرجع نفسه، 73.

ومالي لا أبكي يزيد ورديني أجر جديداً مِدرعي وردائيا[69]

وشك بعض الرواة والعلماء في شعر مرة بن دودان في مديح بني الديان، وما قالته زينب بنت مالك في رثاء يزيد، ويبدو أن بعض هذه المرويات من وضع الرواة؛ لأننا لا نجد هذه الأشعار في كتب الأدب الأصيلة، وأثر العصبية القبلية فيها واضح، والعصبية القبلية سبب من أسباب وضع الشعر ونحله.

مواضيع شعره:

الذي وصل إلينا من شعر يزيد قليل وهو مبثوث في كتب الأدب واللغة والتاريخ والتراجم والأنساب، وقد أورد له أبو الفرج الأصفهاني أربعة مقاطع شعرية أطولها لا يتجاوز عشرة أبيات، وقد ضمن البحتري في حماسته قطعة من ثلاثة أبيات يقول في مطلعها: [الطويل]

وَكُنْتُمْ بَنِي عَمٍّ إِذَا مَا ظَلَمْتُمُ غَفَرْنَا وَإِنْ نَظْلِمْكُمُ نَتَظَلَّمِ[70]

وأورد له الهمداني في شرح القصيدة الدامغة قصيدة من أربعة عشر بيتا وهي أطول ما روي له، وهذه القصيدة انفرد الهمداني بروايتها، يقول في مطلعها: [الطويل]

ألا أبلغا همدان والحي مذحجا وكندة والروقين من آل بارق[71]

كما أورد قصيدة لدريد بن الصمة يرد بها على قصيدة يزيد السابقة لم أجدها في ديوان دريد بتحقيق عمر عبد الرسول، ويبدو أنها من وضع الرواة.

وفي كتاب الهمداني السابق مقطعة ليزيد مكونة من خمسة أبيات يخاطب بهن يزيد بن خويلد بن الصعق لم أجدها في مرجع آخر من مراجع الأدب، يقول في مطلعها: [الطويل]

أتأخذ أجلافا عليها عباؤها بأبناء ثور إن رأيك أعور[72]

وترُوى له في كتب اللغة والنحو قطعة شعرية مكونة من ثلاثة أبيات أشرنا إليها في الجزء الأول من البحث، وفي كتب أنساب الخيل يروى له بيتان يصف فيهما فرسه " العطاف "وقد نسب بعضهم البيتين إلى أخيه عبد الله.

ومن الغريب أن كتب الأدب التي اختصت بتراجم الشعراء لم تترجم ليزيد فلم ترد له ترجمة في طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، أو في الشعر والشعراء لابن قتيبة أو في معجم الشعراء للمرزباني أو المختلف والمؤتلف للآمدي. أما الذي ترجم له من القدماء فأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني، ومن المحدثين لويس شيخو اليسوعي في كتاب شعراء النصرانية وهي ترجمة منسوخة من كتاب الأغاني.

وعلى هذا فالذي وصل إلينا من شعر يزيد عدد قليل من القصائد والمقطعات الشعرية؛ وفي هذا دلالة على ضياع شعره، أو ربما دل على إقلاله فيه؛ وهذا ما دعا من ترجم للشعراء إلى عدم الترجمة له ، وعلى الرغم من ذلك جاءت أشعاره التي وصلت إلينا متنوعة ومقسمة على عدد من الأغراض الشعرية الرائجة في عصره، وكان غالبيتها في الفخر والحماسة والهجاء والمديح والتهديد، ومن اللافت خلو شعره من الغزل بنوعيه الحسي و العذري أو حتى من ذكر المرأة عموما، وكذلك خلوه من المقدمات الغزلية والطللية أو من أية مقدمات أخرى، ومن الغريب واللافت خلو شعره من الرثاء؛ فلا نجد فيه رثاء لأحد من أبويه ، أو لأي من قواد قومه وشجعانهم الذين قتلوا في المعارك والأيام .

[69] المرجع نفسه، 73.

[70] البحتري، أبو عُبَادة الوَليد بن عُبَيد، *الحماسة*، تحقيق: محمَّد إبراهيم حُوَّر وأحمد محمد عبيد، (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 2007م)، ص 348.

[71] الدامغة، ص 261.

[72] المصدر نفسه، ص 605.

الفخر والحماسة:

" **إن الحماسة أهم موضوع استنفد قصائدهم، فقد سعرتها الحروب، وأمدّها شعراؤهم بوقود جزل من التغني ببطولتهم**"[73]، وغالبا ما يختلط شعر الفخر بشعر الحماسة ، والفخر نوعان الفخر الشخصي بالبطولة والشجاعة والكرم وحماية الجار، والنوع الثاني الفخر القبلي وهو الفخر بالقبيلة والأجداد وما سطروه من مآثر في الجود والنجدة والحروب، وليس عيبا أن يفتخر الشاعر بنفسه إذا كان ذلك تذكيرا بتاريخ سابق يعلمه الناس، "...**وإذا فخر أحدهم بفضيلة في نفسه كالشجاعة أو الكرم أو غيرهما، فإنما يكون ذلك في معرض التذكير بهذه الفضيلة واستشهاد التاريخ الحي عليها**..."[74].

ويختلط الفخر مع الحماسة وذلك إذا قرن فخره بتهديد ووعيد لأعدائهم بذكره الحروب والأيام وما أعده من آلات حربية للمعارك القادمة. " **ونحس في هذه الحماسة أثر الموجدة الشديدة والحقد البالغ على خصومهم، فهم دائما يتعرضون لهم يهددونهم ويتوعدونهم انتقاما مروّعا**"[75]، وشعر يزيد الذي وصلنا غالبيته في الفخر والحماسة فمن باب الفخر القبلي قوله مخاطبا عامر بن الطفيل: [الكامل]

عَدَّ الفَوارِسَ مِن هَوازِنَ كُلِّها فَخراً عَلَيَّ وَجِئتُ بِالدَيّانِ

فَإِذا لِيَ الشَرَفُ المَتينُ بِوالِدٍ ضَخمِ الدَسيعَةِ زانَني وَنَمانِي[76]

يفضل يزيد في البيتين جده الديان الحارثي على كل فوارس هوازن، فهو أكرم من عامر جدًّا، ثم يفتخر عليه بمواقعه الحربية وأنه كلما هاجمت قبيلة عامر رجعت بخيبة لأننا لا ننتظر صباحا بل نكر عليهم في أي وقت برماحنا وسيوفنا التي تختلس نفوسهم، يقول: [الطويل]

وكنا إذا ما عامرٌ دلفت لنا بنجران لم ننظر لها ضوء شارق

نعاجلهم رد المنية بالقنا وبالبيض في أيماننا كالعقائق[77]

وافتخر يزيد كذلك بحلم قبيلته على أبناء العمومة، وإغضائهم عن خطاياهم وظلمهم لهم، لكن هذا الحلم والإغضاء له حد فليس تركهم حقهم وتساهلهم ضعفًا، فهم لا يقبلون الضيم حتى ولو كان من ذوي القربى، ولا يتركون وترهم دون انتقام ممن عنده هذا الوتر، يقول: [الطويل]

وَكُنْتُمْ بَنِي عَمٍّ إِذَا مَا ظَلَمْتُمُ غَفَرْنَا وَإِنْ نَظْلِمُكُمُ نَتَظَلَّمِ

فَلَمَّا رَأَيْنَا أَنَّ هذَا لَجَاجَةٌ وَطَالَتْ عَلَيْنَا غُمَّةٌ لَمْ تَصَرَّمِ

كَفَأْنَا إِلَيْكُمْ حَدَّنَا وَحَدِيدَنَا وَكُنَّا مَتَى مَا نَطْلُبِ الْوِتْرَ نَنْقَمِ[78]

وافتخر يزيد بصفاته الشخصية ومناقبه الخاصة، يقول مخاطبا عامر بن الطفيل:

فَإِذا لَقيتَ بَني الحماسِ وَمالِكٍ وَبَني الضِبابِ وَحَيِّ آلِ قَنانِ

فَاِسأَل عَنِ الرجلِ المُنَوِّهِ بِاِسمِهِ وَالدافِعِ الأَعداءَ عَن نَجرانِ

يُعطى المَقادَةَ في فَوارِسِ قَومِهِ كَرَماً لَعَمرُكَ وَالكَريمُ يَماني[79]

[73] ضيف، شوقي، ***العصر الجاهلي***، (القاهرة، دار المعارف، ط 12، 1998م)، ص 203.
[74] الرافعي، مصطفى صادق، ***تاريخ الآداب العرب***، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت)، ج3، ص 69.
[75] ضيف، العصر الجاهلي، ص 202.
[76] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص270.
[77] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص: 261
[78] البحتري، الحماسة، ص 348.
[79] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص270.

يقول إذا لقيت كل بطون بني الحارث بن كعب بني مالك والحماس والضباب وبني قنان فاسألهم من قائدهم ومن الذي يدفع الأعداء عن نجران يخبرونك أنني فارسهم وقائدهم لأنني يماني كريم الأصل والفعال، وفي المقطعة الشعرية التي يقول فيها: " **ولست بشاوي**" يفتخر بأنه ليس راعي غنم قبيح المنظر، ولكنه فارس يعد للحرب عدتها يرتدي درعا واسعة بيضاء، يقود فرسانا كراما.

ومن باب الفخر بالعتاد العسكري قوله يصف درعه الواسعة البيضاء:

ولكِنَّما أَغْدُو عَلَيَّ مُفَاضَةٌ   دِلاَصٌ كَأَعْيَانِ الجَرَادِ المُنَظَّمِ[80]

ويفتخر بالخيل التي أعدتها قبيلته للحروب بقوله:

فما وردوا نجران حتى بدت لهم   توابع من نجل الصريح ولا حق
محرجة الألباب مجلوزة الشوى   معاودة الإقدام في كل مأزق
يسوّمها الديان للغزو بدنا   وترجع أمثال السيوف الذوالق[81]

يصف يزيد في الأبيات السابقة الخيل بوصفها سلاحا من أسلحة الحرب الفعالة ، وهنا يصف الخيل التي عليها الفرسان ، وهي أول من يُسرع إلى ملاقاة الأعداء وصد هجومهم، وهي خيل كثيرة يتلو بعضها بعضًا، وهي خيول أصيلة كريمة من نسل الصريح ولاحق[82]، وهذه الخيول العظيمة في أعناقها قلائد، وهي خيول قوية صلبة خبيرة بالمعارك تتحرك بقوة وخفة ونشاط عند المأزق حين تلتحم الجموع، وهذه الخيول أعدها الديان، للحروب ووسمها بعلامات تميزها عن غيرها لمثل هذا اليوم، وهي تقاتل بضراوة كما اعتادت وترجع سليمة كالسيوف الحادة الرقيقة.

ويصف في موضع آخر فرسه " العطاف " يقول :

وما شعروا بالجمع حتى تبيّنوا   لدى شعبة القرنين ربّ المزنّم
يبوع به العطّاس رافع أنفه   له ذمراتّ بالخميس العرمرم[83]

ومعنى البيتين أنه فاجأ خصومه في مكان يسمى "**شعبة القرنين**" ووصف نفسه بأنه رب المزنم، وهو البعير التي تقطع أذنه للدلالة على كرمه، ثم يصف فرسه العطاس الذي ينقض مسرعا بخطوات واسعة وصوت مرتفع أمام الجيش العظيم الذي يقوده.

الهجاء:

يتداخل غرض الهجاء مع غرض الفخر والحماسة، ففي شعر يزيد هجاء لعامر بن الطفيل وخالد بن يزيد وهما من قبيلة عامر الكلابية التي كانت من أشد أعداء بني الحارث بن كعب في الجاهلية، فهو في هجائهما يعبر عن حالة من السخط والغضب، ولكنه على الرغم من ذلك لم يكن فاحشا في هجائهما، والفحش في الهجاء سقوط للهاجي وسقوط لشعره، ومن هجائه لعامر قوله: [الكامل]

يا لِلرِجالِ لِطارِقِ الأَحزانِ   وَلِعامِرِ بنِ طُفَيلٍ الوَسنانِ

[80] البحتري، الحماسة، ص 348.

[81] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.

[82] الصريح ولاحق من الخيول العربية الأصيلة: يقول ابن الكلبي: "... **وكان لهم: لاحق الأصغر: وهو من بنات لاحق الأكبر: فرس غني بن أعصر". وعن الصريح يقول:** " **ومنها: الصريح وثادق وقيد والغمامة: وكانت لملوك أبناء المنذر بن ماء السماء...**". انظر: ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد، ***أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها***، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (دمشق، دار البشائر، ط 1، 2003م)، ص 35، 61.

[83] الغندجاني، الأسود الحسن بن أحمد، ***أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها***، تحقيق: محمّد علي سلطاني، (دمشق، دار العصماء، ط1، 2007م)، ص 169.

كانَت إتاوَةُ قَومِهِ لِمُحَرِّقٍ زَمَنا وَصارَت بَعدُ لِلنُعمانِ[84]

يتعجب يزيد في البيتين من فعل عامر بن الطفيل الذي أراد أن يساميه، ويتقدم لخطبة بنت أمية بن الأسكر ومنافسته له في ذلك، ويصفه في البيتين بالوسنان أي النائم الغافل عن مكانة بني الديان أحفاد الملوك، وهي حقائق معلومة لا ينكرها منكر؛ فقد كان قومه يدفعون إتاوة للملوك اليمنيين أمثال المحرق والنعمان؛ حتى ينالوا رضاهم ويأمنوا بطشهم، والشاعر هنا خلط بين الهجاء الشخصي والقبلي، وفي وصفه يزيد بالغفلة هجاء مقذع لأنه قد سلبه الذكاء والفطنة وهما من صفات السادة، "والهجاء ضد المديح، فكلما كثرت أضداد المديح كان أهجى له، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة أصناف الأهاجي فيها وكثرتها."([85])
ويبدو أن يزيد أصاب مبتغاه في هجائه لعامر وقومه بهذا ؛ لذا نراه يرد على يزيد بقوله: [الكامل]

عَجَباً لِواصِفِ طارِقِ الأَحزانِ وَلِما تَجيءُ بِهِ بَنو الدَيّانِ

فَخَروا عَلَيَّ بِحِبوَةٍ لِمُحَرِّقٍ وَإِتاوَةٍ سيقَت إِلى النُعمانِ

ما أَنتَ وَابنَ مُحَرِّقٍ وَقَبيلَهُ وَإِتاوَةَ اللَخمِيِّ في عَيلانِ

فَاِقصِد بِذَرعِكَ قَصدَ قَومِكَ نَصرَهُم وَدَعِ القَبائِلَ مِن بَني قَحطانِ[86]

ولم يتوقف يزيد عند وصف عامر بالوسنان وقومه بالتضعضع للملوك، بل استمر في هجائه، منكرا عليه أن يكون سيدا لبني عامر ، يقول: [الكامل]

يا عامِ إِنَّكَ فارِسٌ ذو مَيعَةٍ غَضٌّ الشَبابِ أَخو نَدىً وَقِيانِ

وَاعلَم بِأَنَّكَ يا اِبنَ فارِسِ قُرزُلٍ دونَ الَّذي تَسعى لَهُ وَتُداني

لَيسَت فَوارِسُ عامِرٍ بِمُقِرَّةٍ لَكَ بِالفَضيلَةِ في بَني غَيلانِ([87])

في هذه الأبيات يصف يزيد عامرا بأنه لا يزال صغيرا غضاً، ليس لديه تجارب ولا حكمة، كما أنه صاحب لهو وقيان، ثم يخلص إلى أنه لا يصلح أن يكون زعيما لبني عامر، ولن يسمح له فرسانها بهذه الزعامة، فهو أقل من ذلك شأنا.

ومن الملاحظ على الأبيات السابقة أنها موجزة، والإيجاز في الهجاء محمود، إذا كان يحمل من المعاني الكثير، يقول قدامة : "**...ومن الهجاء أيضاً ما تجمل فيه المعاني، كما يفعل في المدح، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود مع الإيجاز في اللفظ...**"[88]. ويبدو أن يزيد قد أصاب المفصل بهذا الهجاء ؛ لذا نرى عامرا يرد عليه مؤكدا على أنه يصلح للرئاسة والزعامة وهو أهل لها ؛ فقد كان آباؤه سادة وفرسانا يقول: [الكامل]

فَأَنا المُعَظَّمُ وَابنُ فارِسِ قُرزُلٍ وَأَبو بَراءٍ زانَني وَنَماني

وَأَبو جَرِيٍّ ذو الفَعالِ وَمالِكٌ مَنَعا الذِمارَ صَباحَ كُلِّ طِعانِ

وَإِذا تَعاظَمَتِ الأُمورُ هَوازِناً كُنتُ المُنَوَّهَ بِاِسمِهِ وَالباني[89]

وليزيد هجائية أخرى يهجو بها رجلا آخر من بني عامر وهو يزيد بن خويلد بن الصعق، معيرا إياه بأن قومه ليسوا من بني كلاب، يقول فيها:

[84] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 269 – 270. والوسنان: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه. ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 449
[85] ابن جعفر، قدامة، ***نقد الشعر***، (قسطنينة، مطبعة الجوائب، ط 1، 1302هـ)، ص 30.
[86] ابن الطفيل، عامر، ***الديوان***، (بيروت، دار صادر، ط1، 1979م)، ص 139.
[87] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 270.
[88] ابن جعفر، نقد الشعر، ص 31.
[89] ابن الطفيل، الديوان، ص 139.

أتأخذ أجلافا عليها عباؤها بأبناء ثور إن رأيك أعور
وتنزل أن تلقاك أول نسبة ملوك بني وهب وتنميك حمير
وتفتخر بالقوم الألى لست منهم وتترك قوماً فخرهم لك مفخر
وإن كان هذا الأمر شيئا جهلته فنحن به من سائر الناس أبصر
وإن أباكم نيط في آل عامر كما نيط بالرحل السقاء الموكر[90]

يهجو يزيد هذا الرجل بأنه ترك قومه من قبيلة كندة والتحق ببني عامر، ووصف العامريين بأنهم أجلاف ظاهرو البداوة في حين أن كندة وأبناء ثور هم ملوك وسادة، ثم يتعجب من فخره بانتصارات قيس وقبيلته الكندية عندها المفاخر كلها، ثم ينبه على حقيقة يعلمها يزيد وقومه دون الناس وهي أن بني الصعق ليسوا عامريين ولكنهم التحقوا بهم؛ فهم كالسقاء الذي يعلق في الرحل.

وهذا الهجاء لا نجد فيه شيئا من العيوب النفسية والخلقية، وقد يكون الرجل لا ذنب له في إقامته عند بني عامر ، وخلو الهجاء من العيوب الخلقية يعد عيبا فيه" **لأنه متى سلب المهجوُ أمورا لا تجانس الفضائل النفسية كان ذلك عيبا في الهجاء**"[91].

المديح :

وضع النقاد القدامى قواعد لقصيدة المديح وشروطا لجودتها، وهذه القواعد ليست من تأليف النقاد ، بل هي التي سار عليها الشعراء الجاهليون في شعرهم ، ومما اشترطوه على المادح أن يمدح الرجل بصفات جامعة لكل خصال الفضل، يقول أبو هلال : "...**ومن عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل التي تختصّ بالنفس: من العقل، والعفّة، والعدل، والشجاعة، إلى ما يليق بأوصاف الجسم: من الحسن، والبهاء والزّينة**..."[92]، وعن هذه الخصال يقول قدامة بن جعفر: "...**كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً**..."[93].

وشعراء نجران في الغالب مقلون في شعر المديح؛ وذلك لأنفتهم من ذلك وعزتهم، لكنهم – على الرغم من ذلك – كانوا يمدحون من يستحق المدح إذا تطلب الأمر ذلك، بالإضافة إلى ذلك هم سادة كان الشعراء يقصدونهم بالمديح لينالوا جوائزهم، وليزيد بن عبد المدان قصيدة يمدح بها الملك النعمان بن المنذر قالها في حضرة خصمه الحارث الجفني يقول فيها:

تَمالا عَلى النُعمانِ قَومٌ إِلَيهِم مَوارِدُهُ في مِلكِهِ وَمَصادِرُه
عَلى غَيرِ ذَنبٍ كانَ مِنهُ إِلَيهِم سِوى أَنَّهُ جادَت عَلَيهِم مَواطِرُه
فَباعَدَهُم مِن كُلِّ شَرٍّ يَخافُهُ وَقَرَّبَهُم مِن كُلِّ خَيرٍ يُبادِرُه
فَظَنّوا وَأَعراضُ المَنونِ كَثيرَةٌ بِأَنَّ الَّذي قالوا مِنَ الأَمرِ ضائِرُه
فَلَم يَنقُصوهُ بِالَّذي قيلَ شَعرَةً وَلا فُلِّلَت أَنيابُهُ وَأَظافِرُه
وَلَلحارِثُ الجَفنِيُّ أَعلَمُ بِالَّذي يَبوءُ به النُعمانُ إِن جَفَّ طائِرُه
فَيا حارِ كَم فيهِم لِنُعمان نعمَةً مِنَ الفَضلِ وَالمَنِّ الَّذي أَنا ذاكِرُه

[90] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 605.
[91] ابن جعفر، نقد الشعر، ص: 73.
[92] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ***الصناعتين***، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، (بيروت، المكتبة العنصرية، ط1، 1419هـ)، ص 98.
[93] نقد الشعر، ص 21.

ذُنوباً عَفا عَنها وَمالاً أَفادَهُ وَعَظماً كَسيراً قَوَّمَتهُ جَوابِره

وَلَو سالَ عَنكَ الغائِبينَ اِبنُ مُنذِرٍ لَقالوا لَهُ القَولَ الَّذي لا يُحاذِرُه[94]

ومناسبة القصيدة أنه اجتمع يزيد وبعض سادة قيس ، ملاعب الأسنة عامر بن مالك ويزيد بن عمرو بن الصعق ودريد بن الصمة عند الحارث الجفني، فسألهم عن النعمان بن المنذر ملك الحيرة فعابوه، فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له ما تقول يا بن عبد المدان؟ فقال يزيد: "**يا خير الفتيان ليس صغيرا من منعك العراق، وشركك في الشام، وقيل له أبيت اللعن، وقيل لك يا خير الفتيان، وألفى أباه ملكا كما ألفيت أباك ملكا، فلا يسرك من يغرك؛ فإن هؤلاء لو سألهم عنك النعمان لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه، وايم الله ما فيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة** "[95] ثم أنشده قصيدته السابقة فأعجب ابن جفنة بشجاعته وحسن رأيه وقربه وأجلسه مع على سريره.

وفي القصيدة السابقة أشار يزيد إلى فضل النعمان على هؤلاء القوم الذين عابوه، فهم يعيشون في خيره وشبههم بالذي يرد الماء فهم بين صادر في نعمته ووارد إليها، ويتساءل عن سبب ذم هؤلاء القوم لهذا الملك ونعمه كانت كالمطر عندهم، وقد قربهم من كل خير وباعدهم عن كل شر، وإن ما قالوه لن ينقص من قدر النعمان شيئا، ثم يوجه يزيد قوله لابن جفنة الذي يعلم صدق يزيد وينبهه بأن هؤلاء القوم لو سألهم النعمان عنك لقالوا فيك مثل ما قالوا فيه.

والقصيدة السابقة – وإن كانت في المديح – تعد هجاء لقوم لا يعترفون بالجميل، وينكرون الفضل، فقد سلبهم يزيد كل قيم الشجاعة والإنصاف فهم كصاحب الوجهين. والقصيدة بها من البلاغة والإيجاز وألوان البديع الكثير.

الدراسة الفنية:

سنقتصر في دراسة شعر يزيد الفنية على إلقاء الضوء على التصوير الفني في شعره، وعلى اللغة والموسيقا، ولعدم وجود قصائد طويلة أو كاملة في شعره تركنا دراسة البناء الفني فيها.

التصوير الفني في شعره:

التصوير الفني هو العنصر الأساس في الشعر وهو الذي يميز شاعرًا عن شاعر، وقديمًا أشار الجاحظ إلى ذلك حيث قال: "**الشعر صناعة وضرب من النسج، وجنس من التصوير**"[96].

والصورة الفنية تثري العمل الأدبي وتزيد من جماله وقوته في التأثير في المتلقي، وهذه هي وظيفة التصوير الأساسية إذ "**الغرض من التصوير هو التأثير في النفس بحيث يسيطر على العقل والمشاعر**"[97]. والشاعر دائمًا ما يستقي صوره من بيئته المحيطة، ومن ذاكرته الخاصة، أو من الذاكرة العامة التي هي التاريخ، إذ يستحضر الشاعر تلك الصور المتفرقة مكونًا منها صورًا متلائمة متجانسة عندما يجد ما يشبهها في الواقع ، وعلى كلٍ فالصورة أداة فنية "**يتميز بها الأدب من بين الفنون الجميلة الأخرى**"[98].

ومن صور يزيد بن عبد المدان الفنية قوله يصف جيش العدو: [الطويل]

أتونا بجمعٍ يضلع الأرض رزه له لجب عالٍ كصلق الصواعق[99]

في هذا البيت يرسم يزيد صورة حية لجيش العدو وهو متجهٌ إلى نجران وقد اهتزت من كثرته الأرض، وكأنها ناءت بحمله، وفي هذا دلالة على كثرتهم وكثرة ما يحملون معهم من أسلحة دفاعية كالدروع والتروس والبيض أو الأسلحة الهجومية كالسيوف والرماح والنبال.

[94] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 269 – 270.
[95] المصدر نفسه، ج 12، ص 268.
[96] الجاحظ، عمرو بن بحر، *الحيوان*، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط 2، 1424 هـ)، ج3، ص67.
[97] صبح، علي، الصورة الأدبية تأريخ ونقد، (دار إحياء الكتب العربية، بيروت، لبنان، د.ت.)، ص: 18.
[98] الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ص451
[99] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.

والصورة في البيت صورة حية ناطقة، اعتمد الشاعر فيها على الاستعارة والتشبيه والوصف الفني الدقيق، كما نلحظ في تلك الصورة عنصرًا مهمًا من عناصرها هو عنصر الصوت فهذا الجيش له صوت كصوت الصواعق وجلبة شديدة من أصوات المقاتلين والخيول، ويمكن أن نعتبر هذه الصورة الفنية صورة كلية؛ لأنها اشتملت على ألوان وحركة وأصوات. أما هدف الشاعر منها فهو رسم صورة لجيش العدو، وإثارة قومه وحثهم على التصدي لأعدائهم. ومن صوره المعبرة المتأثرة بالبيئة قوله يصف حال المهزومين من أعدائهم: [الطويل]

فكانوا كشاةٍ غاب عنها رعاتها مروعة بالجو من نعق ناعق[100]

يصف الشاعر في البيت السابق حال أعدائهم وهم منهزمون، وقد شبههم بغنم ليس لها راعٍ، تهيم في كل وجه مذعورة خائفة، يتبعها صوتٌ ناعق، وربما قصد الشاعر بالناعق الذي أخافها الذئب أو الموت الذي يطاردها أينما ذهبت، وقد اكتسبت الصورة السابقة جمالًا وروعة من استكمال عناصرها الفنية من حركة وأصوات ومع استحضار الألوان في ذهن القارئ ألوان الصحراء والأغنام وبهذا التلوين والحركة تكون الصورة قد اكتملت أركانها، وهي تعبر خير تعبير عن هزيمة الأعداء وتفرقهم وهروبهم، وفي قوله: "**غاب عنها رعاتها**" إشارة إلى مقتل بعض من قادوا هذه الحملة وعلى رأسهم خالد بن الصمة أخو دريد، وقد استقى يزيد عناصر هذه الصورة من الطبيعة الصامتة والمتحركة ، وهي صورة طبيعية مشاهدة وملموسة تراها العين بكثرة في هذه البيئة، فمشهد الراعي والغنم والصحراء والناعق سواء كان ذئبًا أو غرابًا من المشاهد الطبيعة البيئية، وقد اعتمد الشاعر في رسم تلك الصورة على الوصف الدقيق لمعالم البيئة ، كما اعتمد على التشبيه والاستعارة في إتمام بناء صورته.

ومن الصور المعبرة التي وصفت مشهدا من مشاهد الحروب التي خاضها يزيد بن عبد المدان في الجاهلية وهو يوم حلوم **[101]** قوله: [الطويل]

فناديت يا حار بن كعب فأقبلت عرانين أمثال المحال المحانق

وحسرت عن رأسي القناع وقلما يحسر إلا في نزول البوائق

فأوروا شرار البيض بالبيض وانتموا إلى الحارث البهلول حار الغرانق[102]

يرسم الشاعر صورة رائعة وهو في قلب المعركة حيث ينادي على قومه يحضهم على الإقدام، فأقبلوا مسرعين كالإبل الضخمة العظيمة، وفي البيت الثاني يصف نفسه وهو يضع القناع عن رأسه وقلما يفعل ذلك إلا الأبطال، ثم يصور في البيت الأخير قومه وهم يضربون بسيوفهم في رؤوس أعدائهم، ضربات تصدر شرارًا متطايرًا ناتجًا عن ارتطام الحديد بالحديد، وهذه الصور الثلاث تُكوَن مجتمعة صورة واحدة كلية، وذلك لأن الصور الكلية "**هي مجموعة من الصور البسيطة المؤتلفة تستهدف تقديم فكرة أو موقف**"[103]، وهذه الصور الجزئية التي في الأبيات بينهما تلاحم واتصال لفظي ومعنوي، وهي تشكل مشهدًا حربيًا واحدًا معروفًا في حروب العرب، حيث القائد يتقدم الجموع ويعطي إشارة البدء، ويدعو جنوده بالتقدم؛ فتستجيب الجموع ويلتحم الفريقان والصورة بها حيوية وحركة وقد اعتمد الشاعر في بنائها على التشبيه والاستعارة والوصف.

وليزيد صورة فنية رائعة جاءت في معرض الفخر عقد فيها مقارنة بين الراعي والفارس يقول: [الطويل]

ولَسْتُ بِشَاوِيٍّ عَلَيْهِ دَمَامَةٌ إذا مَا غَدَا يَغْدُو بِقَوْسٍ وأَسْهُمِ

ولكِنَّما أَغْدُو عَلَيَّ مُفَاضَةٌ دِلاَصٌ كَأَعْيَانِ الجَرَادِ المُنَظَّمِ

بِكُل قُرَيْشِيٍّ عَلَيْه مَهَابَةٌ سَرِيعٍ إِلى دَاعِي النَّدَى والتَّكَرُّمِ[104]

---

100 المصدر نفسه، ص 261.

101 ذكره الهمداني في قصيدة الدامغة، ص 261، ولم نجد ذكراً لهذا اليوم فيما بين يدي من مصادر أخرى.

102 الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.

103 جدوع، عزة ، قراءة تحليلية في النص الشعري (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2011م)، ص 145.

104 ابن منظور، لسان العرب، ج 6، 335- 336. (مادة: قرش)، وفي شرح أبيات سيبويه، للسيرافي، ج 2، ص240، منسوبة إلى يزيد بن عبد المدان بدون البيت الثالث.

ففي البيت الأول ينكر يزيد أن يكون راعي ضأن، تبدو على وجهه الدمامة والقبح من كثرة تعرضه للشمس والرمال، لا يملك من السلاح شيئًا سوى قوس وأسهم قليلة. وفي البيت الثاني يرسم صورة لنفسه فهو محارب مقاتل يلبس للحرب رداءها، فيغدو بدرع واسعة تلمع في ضوء النهار، ويبدو قتيرها من قريب كعيون الجراد المنتظم في سلك واحد. وفي البيت الثالث يصف جنوده أو من يقودهم فهم سادة تبدو عليهم المهابة والكرم والشجاعة، فنحن أمام صورتين: صورة الراعي بدمامته والذي ليس له سلاح سوى قوسه وعدة نبال، يرعى أغنامًا في الصحراء، والصورة الثانية صورة الفارس القائد الذي يرتدي درعًا محكمة النسج واسعة وتحت قيادته علية القوم وسادتهم، والصورة في الأبيات تشتمل على لوحتين فنيتين واللوحتان ليستا جامدتين؛ لأنك تحس وأنت تقرأ الأبيات بالحركة في: "غدا ويغدو وأغدو"، وكذلك ترى الألوان في قوله:" دمامة، دلاص"، وتشعر بالحيوية والحركة في الدرع الواسعة وفي المسامير التي تبدو كعيون الجراد.

اللغة والموسيقا:

من المتعارف عليه لدى كثير من الدارسين أن الشعراء والأدباء قبل الإسلام استخدموا لغة أدبية موحدة، وهي لغة قريش، هذه اللغة هي التي كانت تنشد عليها الأشعار، و قد تخلي غالبيتهم في شعرهم عن لهجات قبائلهم؛ فلا نجد لها وجودًا عندهم إلا قليلًا، وقد يستخدمها بعضهم للضرورة الشعرية وإقامة الوزن، واللغة الأدبية هذه هي التي كانوا يردون بها الأسواق ويتفاخرون ويتنافرون ويهجون ويمدحون بها وقد استخدمها الشعراء في جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها وخير دليل على هذه اللغة وحقيقتها هو نزول القرآن بها، وقد فهمه العرب جميعًا ولم يحتاجوا إلى مفسر أو شارح أو ترجمان.

وشعر يزيد بن عبد المدان جاء على هذه اللغة السائدة؛ فلم تظهر فيه لهجة بالحارث بن كعب، ويزيد أحوج الشعراء إلى استخدام هذه اللغة الأدبية؛ لأن شعره كله أو بعبارة أدق ما وصلنا منه يعد رسائل إلى العرب الشماليين فهو يخاطبهم بلهجاتهم، لأن غالبية حروبهم وثاراتهم كانت معهم.

وعلى الرغم من ذلك نجد بعض الشواهد النحوية في كتب اللغة والنحو من شعره، فقد استشهدوا به في إثبات بعض القواعد النحوية من مثل قوله "**ولست بشاوي**" احتج به بعض النحويين على قلب الهمزة واوًا في النسب فيقال: شائي وشاوي ومائي وماوى[105] ، وكذلك احتجوا بقوله "**بكل قريشي**" فأما قولهم في النسب إلى قريش "قُرَشِيّ" وإلى هذيل "هُذَلِيّ" وإلى ثقيف "ثَقَفِيّ" –بحذف الياء في إحدى اللغتين– فهو من الشاذ الذي لا يقاس عليه، واللغة الفصحى إثبات الياء، وهي أن تقول: قُرَيْشِيّ، وهُذَيْلِيّ، وثَقِيفيّ، وهو القياس"[106].

ومن الظواهر البارزة في شعره كثرة استخدام الأساليب الإنشائية الطلبية؛ ولعل ذلك راجع إلى شخصية يزيد القيادية التي ألفت النهي والأمر والتوجيه، فهو زعيم قبيلة وقائدها، ومن الأمثلة على ذلك قوله: [البسيط]

يا قَيسُ أَرسِل أَسيراً مِن بَني إِنّي بِكُلِّ الَّذي تَأتي بِهِ جازي

لا تَأمَنِ الدَهرَ أَن تَشجي بِغُصَّتِهِ فَاِختَر لِنَفسِكَ إِحمادي وَإِعزازي

فَاِفكُك أَخا مِنقَرٍ عَنهُ وَقُل حَسَناً فيما سُئِلتَ وَعَقِّبهُ بِإِنجازِ[107]

في المقطعة السابقة نجد الأساليب الإنشائية كالنداء والأمر والنهي واضحة، فمن باب الأمر قوله: أرسل، اختر افكك، وقل، عقّب، والنهي في قوله: لا تأمن، والنداء في قوله: يا قيس، والأمر في الأبيات حقيقي وكذلك النهي والنداء، إذ ليس له غرض بلاغي واضح.

أما قوله: [الطويل]

أتأخذ أجلافا عليها عباؤها بأبناء ثور إن رأيك أعور[108]

فالغرض منه التعجب من فعل هذا الذي ترك أبناء ثور وهم الملوك وحالف قوما آخرين وانتمى إليهم .

[105] انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب لسيبويه**، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 3، 1988م)، ج2، ص 367.

[106] ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، ***الإنصاف في مسائل الخلاف***، (بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 2003م)، ج 1، ص 287.

[107] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 275.

[108] الهمداني، قصيدة الدامغة: ص 605.

وتبدو في شعر يزيد ليونة وبعد عن الغريب والحوشي وذلك لأنه كان يسكن نجران، وهي حاضرة مستقرة يعيش جزء كبير من أهلها على الزراعة، ولغة الحواضر كمكة والطائف والحيرة وغيرها تختلف عن لغة البادية، ولذلك لا نجد عناءً في فهم شعره، وعلى الرغم من ذلك تظهر أحيانًا على شعره بعض ألفاظ البادية كقوله يصف خيلًا:

محرجة الألباب مجلوزة الشوى معاودة الإقدام في كل مأزق

فكلمة محرجة معناها مقلدة "**والحرج: قلادة الكلب، والجمع أحراج وحرجة**"[109]، والمجلوزة القوية: الصلبة لأن " **المجلوز: المشدد تركيبه من الجلز الذي هو اللي والطي**"[110] والشوى : أرجل الفرس، وقد عني بكلمة الألباب الأعناق ؛ لأن القلادة تكون في العنق وليس في اللب.

كما نلاحظ أنه كان يلجأ إلى ترخيم المنادى في شعره كثيرًا ،كما أنه رخم بعض الأسماء في غير النداء وهذا غير جائز إلا في الضرورة الشعرية [111]، ومن شواهد المنادى المرخم قوله: [الرجز]

أُمَيَّ يا ابنَ الأَسكَرِ بنِ مُدلِجِ[112]

أميَّ: منادى مرخم والمراد به (أمية) ، وقوله: [الطويل]

فَيا حارِ كَم فيهِم لِنُعمان نعمَةً مِنَ الفَضلِ وَالمَنِّ الَّذي أَنا ذاكِرُه [113]

فقد رخم في الشطر الأول والمقصود : يا حارث ، ومثل ذلك قوله: [الطويل]

فناديت يا حار بن كعب فاقبلت عرانين أمثال المحال المحانق[114]

وقوله: [الكامل]

يا عامِ إِنَّكَ فارِسٌ ذو مَنعَةٍ غَضُّ الشَبابِ أَخو نَدىً وَقِيانِ[115]

يا عامِ منادى مرخم والمقصود يا عامَر، وقد يرخم في غير النداء كقوله: [الطويل]

فأوروا شرار البيض وانتموا إلى الحارث البهلول حار الغرانق[116]

حار: مرخم في غير النداء والمقصود حارث.

كما أننا نجد في شعره بعض العبارات المسكوكة الجاهزة التي تستخدم كثيرًا في الشعر القديم من مثل: ألا أبلغ، قضها وقضيضها، دارت رحانا، وكنا إذا ما، حدنا وحديدنا، عليَّ مفاضة كأعيان الجراد، ضخم الدسيعة، فاسأل عن الرجل، يُعطي المقادة.

كذلك نجد في شعره على قلته كثرة في استخدام أسلوب الشرط ، وذلك راجع – فيما أرى – إلى لهجة التهديد والوعيد التي كان يخاطب بها أعداءه وخصومه، وتدل كذلك على قوة القبيلة ومنعتها وكأن هذه الأساليب دستور للقبيلة فلا محيد عنه، يقول: [الكامل]

[109] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 236.
[110] المصدر نفسه، ج 4، ص 192.
[111] انظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، 286/1،
[112] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص269.
[113] المصدر نفسه، ج 12، ص 273.
[114] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.
[115] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص270.
[116] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.

فَإذا لَقيتَ بَني الحماسِ وَمالِكٍ وَبَني الضِبابِ وَحَيِّ آلِ قَنانِ[117]

وقوله : [الطويل]

وكنا إذا ما عامرٌ دلفت لنا بنجران لم ننظر لها ضوء شارق [118]

وقوله: [الرجز]

إنَّكَ إن تَلهُج بِأَمرٍ تَلحَجِ[119]

وقوله: [الطويل]

وَلَو سالَ عَنكَ الغائِبينَ ابنُ مُنذِرٍ لَقالوا لَهُ القَولَ الَّذي لا يُحاذِرُه [120]

وعلى كل فلغة يزيد لا تختلف عن لغة بقية الشعراء في عصره من استخدام اللغة الأدبية السائدة، وكذلك بروز ظاهرة الأساليب الانسانية، أو الترخيم أو استخدام العبارات المشكوكة الجاهزة، ولغته سهلة لينة واضحة تعبر خير تعبير عن بيئته النجرانية الحضرية.

والموسيقا عنصر أساس من عناصر البناء الشعري، وهي التي تفرق بين الشعر والنثر، والموسيقا تنشأ من عدة إيقاعات كالوزن والقافية والإيقاعات الداخلية للنص التي تنتج عن بعض الألوان البديعية وعن تكرار بعض الكلمات أو الحروف.

وعلى هذا فالموسيقا نوعان موسيقا خارجية وموسيقا داخلية والموسيقا الخارجية هي الوزن والقافية ويطلق عليه الموسيقا الإطارية، أما الموسيقا الداخلية فهي التي تنتج من داخل النص نتيجة لوجود جرس موسيقي ناتج عن ألوان أخرى من البديع.

وشعر يزيد لم يخرج عن نظام الشعر القديم وبحوره ، فقد جاء على البحور الشعرية المعروفة، وكما قلنا فإن ليزيد تسع مقطعات جاءت ستة منها على بحر الطويل وواحدة على الرجز وثانية على البسيط وأخرى على الكامل، ومن الملاحظ على ذلك أنه استخدم بحورًا تامة ولم يستخدم المجزوء منها، كما أن بحر الطويل هو الغالب على أوزانه ، وهذه سمة عامة من سمات شعراء نجران قبل الإسلام "**وانما جاء بحر الطويل في مقدمة البحور التي نظموا عليها، فقد سيطر هذا البحر على كثير من شعر شعراء نجران**"[121] وهذا البحر مناسب لأغراض الشعر الجدية كالحماسة والحرب والفخر والمدح والهجاء[122].

وفي شعر يزيد موسيقا داخلية كثيرة ساعدت على التكثيف الموسيقي وإعطاء جرسًا صاخبًا في بعض الأحيان كالجناس، والتصريع، فالجناس نوع من التكرار ولكن مع اختلاف المعنى وهو يعطي جرسًا موسيقيًا مثل قوله: [الطويل]

وَكُنْتُمْ بَنِي عَمٍّ إذَا مَا ظَلَمْتُمُ غَفَرْنَا وَإنْ نَظْلِمُكُمُ نَتَظَلَّمِ[123]

فقوله: "ظلمتم، نظلمكم، نتظلم " من باب الجناس الناقص وهو يعطي موسيقا داخلية كثيفة، كذلك تكرار حرف الميم في البيت السابق وهو حرف القافية في مطلع القصيدة يزيد تلك الموسيقا ويعوض غياب التصريع في أول القطعة ومن باب الجناس الناقص قوله: [الطويل]

كَفَأْنَا إلَيْكُمْ حَدَّنَا وَحَدِيدَنَا وَكُنَّا مَتَى مَا نَطْلُبِ الْوِتْرَ نَنْقَمِ[124]

[117] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص270.
[118] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.
[119] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 269.
[120] المصدر نفسه، ج 12، ص273.
[121] العتيبي، حركة الشعر في نجران، ص 333.
[122] أنيس، إبراهيم، *موسيقا الشعر*، (القاهرة، مكتبة الأنجلو، ط1، 1965م)، ص190.
[123] البحتري، الحماسة، ص 348.
[124] المصدر نفسه، ص 348.

فالجناس الناقص في قوله: حدنا وحديدنا، وقوله: [الطويل]

بأن سليمًا قضها وقضيضها ونصرًا وحيي عامر في الفيالق[125]

ففي قوله: " قضها وقضيضها جناس ناقص، وقوله: [الطويل]

ودارت رحانا واستدارت رحاهم وناديت أخرى جشموني مواثق[126]

ففي قوله: " **دارت واستدارت** " وقوله: " **رحانا ورحاهم**" جناس ناقص.

واستخدم يزيد التصريع مرة واحدة في قوله: [الكامل]

يا لِلرِجالِ لِطارِقِ الأَحزانِ وَلِعامِرِ بنِ طُفَيلٍ الوَسنانِ[127]

وربما كان السبب في غياب التصريع هو ضياع شعره.

ومن باب التضاد قوله : [الطويل]

تَمالا عَلى النُعمانِ قَومٌ إِلَيهِم مَوارِدُهُ في مِلكِهِ وَمَصادِرُه[128]

وقوله: [الطويل]

فَباعَدَهُم مِن كُلِّ شَرٍّ يَخافُهُ وَقَرَّبَهُم مِن كُلِّ خَيرٍ يُبادِرُه[129]

خصائص شعره:

قلة إنتاجه الشعري: و يرجع ذلك إلى فقدان أو ضياع شعره عبر الزمن، والناظر في مقاطعه الشعرية قد يجد ما يشير إلى ذلك "**فقد تدل بدايات كثير من هذه المقطعات على أنها جزء من قصيدة، ويتضح ذلك من خلال ابتدائها بحروف الربط التي تدل على أن للبيت صلة بما قبله**"[130].

وربما يرجع السبب في قلة إنتاجه إلى أنه لم يكن مكثرًا في قول الشعر، وهذا ما دعا كثيرًا ممن ترجموا للشعراء أن لا يكتبوا ترجمة له. وقد يكون السبب في قلة إنتاجه أو قلة ما وصلنا من شعره هو إعراض الرواة عن روايته لما فيه من التعصب القبلي لليمنية، وهذه الصفة غالبة على كثير من شعراء اليمن، وقد نهى الرسول ﷺ عن رواية بعض أشعار الأفوه الأودي"[131].

التأثر بالبيئة: وهذه السمة عامة في كل شاعر عربي قديم أو حديث إذ العربي يعتز ببيئته وهي في قلبه ووجدانه بمكان، ويظهر هذا التأثر بوضوح في صوره الفنية وتشبيهاته، ولذلك كان هذا الأثر أكثر وضوحًا في استخدام الألفاظ الحضرية البعيدة عن الحوش والغريب لأن نجران كانت مدينة مستقرة وأهلها حضر مقيمون.

كثرة الأساليب الإنشائية: وقد يرجع ذلك إلى شخصية يزيد القيادية التي تميل إلى الأمر والنهي والتوجيه لذلك نجد بروز استخدام أفعال الأمر والنهي أمر لافت مثال ذلك مخاطبًا قيس بن عاصم المنقري.

[125] الهمداني، قصيدة الدامغة، ص 261.

[126] المصدر نفسه، ص 261.

[127] الأصفهاني، الأغاني، ج 12، ص 269.

[128] المصدر نفسه، ج 12، ص272.

[129] المصدر نفسه، ج 12، ص272.

[130] العتيبي، حركة الشعر في نجران، ص 327.

[131] الأسد، ناصر الدين، ***مصادر الشعر الجاهلي***، (القاهرة، دار المعارف، ط7، 1988م)، ص214.

سهولة اللغة: لا نجد فيما وصل إلينا من شعره صعوبة في فهم ألفاظهم ولا نجد من بينها ما يحتاج إلى البحث في المعاجم ويبدو أنه كان يستعمل في شعر اللغة الأدبية التي كانت سائدة قبل الإسلام.

استخدام البحور الطويلة: لا نجد عند يزيد استخدامًا للبحور المجزوءة فكل ما وردنا جاء على البحور التامة وجاءت غالبية شعره على بحر الطويل.

خلو شعره من بعض الأغراض كالرثاء والغزل وذكر المرأة، فقد خلا شعر يزيد من ذكر المرأة ومن شعر الغزل ومن المقدمات الغزلية والطللية وقد يرجع ذلك إلى ضياع بعض شعره.

غلبة شعر الحماسة والفخر والهجاء: وذلك لأن شعره في الغالب رسائل موجهة إلى خصومه، ولأنه يحتاج فيها إلى إظهار قوة قبيلته واستعدادها للحرب.

الخاتمة:

هدفت هذه الدراسة لبحث جانبين مهمين في شخصية يزيد بن عبد المدان، أولها: طبيعة دوره السياسي ونفوذه القبلي ومدى أثر ذلك كله في الأحداث التي عاصرها حتى ظهور الإسلام وثانيها: التراث الشعري لهذا الرجل من حيث مواضيعه وخصائصه وأهم العوامل المؤثرة فيه. وقد كان لانتساب يزيد بن عبد المدان إلى أسرة بني الديان تلك الزعامة القبيلة العريقة أثر بالغ في تشكيل شخصيته وتزويده بإرث عريق ساعده ليكون أهم زعامة قبيلة في نجران وواحد من أبرز الزعامات القبلية في جزيرة العرب قاطبة. فقد استطاع يزيد من خلال حلفه السياسي والاقتصادي مع المكون النصراني النجراني تحقيق استقرار سياسي واقتصادي نعمت به منطقة نجران خلال المرحلة التي سبقت ظهور الإسلام. ولعل علاقات بني الحارث بن كعب بجوارهم القبلي مثلت ميداناً بازاً لإظهار الثقل السياسي والاجتماعي ليزيد بن عبد المدان والمتمثل في قيادته عدداً من الغزوات ضد بني عامر بن صعصعة وهوازن وبني تميم، ومفاخراته الاجتماعية لهم في بعض الأسواق. وقد امتد النفوذ السياسي والقبلي ليزيد إلى عمق اليمن حينما شارك في حلف قبلي عسكري ضد الوجود الفارسي في اليمن، على أن زيارته لبلاط الغساسنة كانت مناسبة نادرة لإظهار مكانته الإقليمية والقبلية البارزة.

والحق أن علاقة يزيد بن عبد المدان بالإسلام مثلت أهم مسألة شائكة تصدت لها الدراسة، ذلك أن ثمة اختلاف وغموض حول ما إذا كان قد أدرك الإسلام من عدمه. الحقيقة أن رواية الاصفهاني التي انفرد بها حول مزاعم مقتل يزيد في معركة الكُلاب الثاني هي من ساهم في خلق هذا الاشكال، إلا أن الدراسة ترجح أن يزيد أدرك الإسلام وساهم في ترجيح موقف قومه للدخول في الإسلام فقد اتفقت مصادر السيرة على أن يزيد بن عبد المدان تقدم قومه خطيباً ومحاوراً ومعلناً إسلام قومه بين يدي النبي ﷺ. غير أن هذا الزعيم النجران توفي فيما يبدو بعد شهور معدودة من إسلام قومه؛ إذ لم يرد له أي ذكر في أحداث الردة التي وقعت على أرض نجران حيث يبرز أخوه عبد الله بن عبد المدان كأهم زعامة قبلية انحازت لدولة الإسلام في المدينة ضد ردة الأسود العنسي.

أما عن أثره في الحياة الأدبية فقد أجمعت المصادر على شاعرية يزيد بن عبد المدان وليس ذلك بغريب؛ لأنه كان ينتمي إلى أسرة توارث أفرادها الشعر. فضلاً عن ذلك، فقد ساهم ازدهار الحركة الأدبية في أوساط بني الحارث بن كعب في تشجيع يزيد بن عبد المدان على نظم الشعر، لأن بني الديان كانوا مقصد الشعراء ومحل ثنائهم بفضل ما تمتعوا به من كرم الضيافة وحماية الجار وفك العاني وغيرها من صفات المروءة عند المجتمع العربي. ثم إن وقائع بني الحارث بن كعب وعلاقاتهم السياسية والاجتماعية مع غيرهم من القبائل الأخرى كانت سبباً آخر في إثارة القريحة الشعرية ليزيد بن عبد المدان فتنوعت مواضيع شعره ما بين الفخر والحماسة والهجاء والمدح. غير أن مشكلة حقيقة تواجه الباحث في شعر يزيد إذ تبين لنا من خلال هذا البحث أن ما وصل من شعر يزيد بن عبد المدان قليل ولا يزيد عن مقاطع شعرية أو عدد قليل من القصائد ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنه كان مقلاً في قول الشعر أصلاً، أو ربما ضاع أكثر هذا الشعر، وفي رأيي أن الاثنين معا كانا وراء قلة ما وصل إلينا من شعره.

أما إذا ما انتقلنا إلى خصائص شعر يزيد بن عبد المدان فسنجد أكثر من ميزة حملها شعره مثل تنوع الصور الفنية، وكثرة استخدام الأساليب الإنشائية الطلبية، ووضوح لغته رغم أنها لا تظهر لهجة بالحارث بن كعب. كما امتاز شعره بليونة مفرداته وبعده عن غريب الألفاظ والحوشي، غير أنه كان يلجأ إلى ترخيم المنادى كثيرًا، فضلاً عن لجوئه إلى بعض العبارات المسكوكة الجاهزة، وكثرة استخدام أسلوب الشرط. واستنتجت الدراسة أن يزيد بن عبد المدان لم يشذ عن شعراء عصره في استخدم بحور الشعر المعروفة، مثل البحر الطويل والرجز والبسيط ونحوه.

أما إذا ما تناولنا إنتاجه الشعري فإن أول ما نلاحظه قلة هذا الإنتاج وسبق تفسير ذلك، وتأثره ببيئته، وكثرة توظيف الأساليب الإنشائية، والإكثار من استخدام البحور الطويلة. ورغم غلبة أغراض الحماسة والفخر والهجاء على أغراضه، فقد تميز شعر يزيد بن عبد المدان بسهولة اللغة ووضوح المعنى.

يمثل يزيد بن عبد المدان نموذج واحد ضمن نماذج أخرى للزعامات النجرانية التي جمعت بين الدور السياسي والموهبة الشعرية مثل يزيد بن المحجل ويزيد بن الحصين ذي الغصة، وهي نماذج تستحق أن تحظى بدراسات مشابهة بشقيها الأدبي والتاريخي.